أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
مليم
٤٠٠ في وادي النيل
٤٠٠ لطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالأوقاف
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ لطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء الثالث ـ القاهرة : ربيع الأول سنة ١٣٧٨ ـ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٥٨ ـ المجلد الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكرى مولود

وحياة رسالة

ولد في عام الفيل ...

كانت العربية السعيدة ، البلاد التي أنجبت هوداً ويعرب وسبأ والحارث الرائش وبلقيس شمر يرعش ، تلك البلاد العريقة بالبطولة والمجد والمواهب السامية والسؤدد ، كانت يومئذ محتلة بـ ... الحبشة !

وكانت الكعبة ، بنية ابراهيم وإسماعيل ، أول بيت أقيم في الأرض لعبادة الله وتوحيده ، احتقار الوثنية ، قد دنسها عمرو بن لحي الخزاعي منذ عهد قريب بما حمل إليها من وثنية الأردن ، فعوقب أهلها بالغزاة البغاة أصحاب الفيل ، إيقاظاً لهم وإنذاراً وتحذيراً ...

وكان تراث قصي في مكة ، وأنظمته في قريش البطاح وقريش الظواهر ، قد اعتراهما لوهن والتعطيل ، بما طرأ على أم القرى في وقعة الفيل ...

بل كانت آفاق الشمال التي أنجبت صالحا وشعيبا وقرونا بين ذلك كثيرا ، قد قبعت بأهلها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين الأودية والأطواد ، منزوية بعقولهم ومواهبهم ، لئلا تدنسها حضارة فارس والروم بما ابتليتا به من الكذب والسرف والرياء ، والهلع والشهوات والاستخذاء .

إن العروبة ـ من عدن وسواحل حضرموت إلى مشارف الشام ، ومن سيف الخليج العربى إلى شطآن القلزم ـ كانت فى سنة هذه الذكرى ، أى فى عام الفيل ، غارقة فى بداوتها ، وفى كل ما فى البداوة من فطرة وبساطة ، وتقشف وخشونة ، وحرية وأريحية ونبل . غير أن بداوة العروبة امتازت على كل بداوة أخرى عرفتها الإنسانية فى الأرض ، من أوغل دهور الإنسانية فى القدم إلى أن تقوم الساعة . لقد كانت الأمم الأخرى وهى فى طور بداوتها هزيلة المدارك ، ضئيلة العقول ، فقيرة فى لغاتها التى هى ترجمان المدارك ، فلم تكن لأمة من الأمم وهى فى بداوتها لغة يزيد عدد مفرداتها على المائة أو المئات ، أما هذه الأمة التى ظهر منها فى عام الفيل هذا المولود الممتاز ـ الذى تحتفل الدنيا الآن بذكرى ولادته ـ فانها امتازت فى بداوتها بسعة المدارك وألمعيتها ، ووفرة المواهب ونضوجها ، وسلامة الأخلاق وكرم معدنها ، وثراء لغتها الدقيقة الأنيقة التى هى مقياس الإنسانية ، لأن النطق صفة الإنسان ، وعراقته بعراقته ، وأصالته بأصالته ، وشرفه بشرفه .

من هذه الأمة الممتازة بألمعية العقل وبلاغة المنطق ، وأريحية الفطرة ونبلها وحريتها ، ظهر هذا المولود الممتاز بكل ما ميزه الله به على كل مولود غيره من بنى البشر . ثم ازدادت هذه الأمة ـ إلى شرف أنه منها ـ شرفا آخر ، وهو أنه لم يستوف أيام حياته فى الدنيا حتى كانت كلها له ولرسالته ، فاضطلعت بها ، وحملت أعباءها ، وزحفت بأماناتها شرقا وغربا إلى ما شاء الله لها أن تنشئ من مآذن لحى على الفلاح ، وقلاع للحق والخير ، فى مشارق الأرض ومغاربها .

وبلغة هذه الأمة نطق هذا المولود أول ما نطق ، فكانت لغة التنزيل التى اختارها الله لكتابه الحكيم ، ثم كانت ـ بكتابه الحكيم ـ لغة الإنسانية المشتركة بين جميع الأمم التى تشرفت بالإيمان المحمدى ، وكان منها أعلام العلم الإسلامى ، وكبار المحدثين والمؤلفين والدعاة والهداة والصالحين .

والذين يلاحظون حكمة الله فى كل ما يقع تحت أنظارهم ومداركهم من خلقه وأمره مطمئنة قلوبهم إلى أن اختيار هذا المختار لأكمل رسالات الله كان مقرونا باختيار أمته الأولى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تحمل رسالته إلى آفاق الأرض . وكما أن الإسلام بنفسه كان معجزة من معجزات الله فى رسالاته ، فإن أصحاب رسول الله والتابعين لهم بإحسان كانوا كذلك معجزة من معجزات الله فى أخلاقهم وسيرتهم ، وفى حفظهم لكتاب الله وسنة رسوله ، وفتوحهم الخاطفة الخارقة لعادات التاريخ ، ونجاحهم فى تغيير أنظمة الدول والناس فى الممالك والمنازل والأسواق والنفوس ، وتعريبهم الألسنة والعقول والاتجاهات ، مما لم يسبق له نظير من غيرهم .

كان العرب قبل أن يتحملوا الرسالة المحمدية قد اعترى مواهبهم القومية الأصيلة شىء من الانحراف الطارئ ، ومنه وثنية عمرو بن لحى الخزاعى ، ولكن ما من عيب طارئ كان فى العرب فى زمن ولادة هـذا المولود العظيم ، إلا كان ذلك العيب فى غيرهم أصيلا بأضعاف أضعاف ما نجده فى العرب . وكان يقابل ذلك فى العرب فضائل وسجايا قلما يوجد بعضها فى أمة أخرى غيرهم . ومن الإنصاف الاعتراف بأنه ما كانت أمة من أمم الأرض استجيب للرسالة المحمدية كما استجاب لها العرب ، وما كانت أمة من أمم الأرض ـ بعد أن استجيب لهذه الرسالة العليا ـ لتحفظها على أصلها فلا تشوبها بما هو غريب عنها كما حفظ العرب من الصحابة والتابعين هذه الرسالة على ما هى عليه فى أصلها ، ومنعوا أن تصل إليها أية شائبة .

فى هذه البيئة وبين عقول أهلها ومواهبهم وقابلياتهم شب هذا المولود الذى نحتفل بذكراه ولم يكن لمكة والحجاز ملك متوج ، ولا كان فيها شرطة ومحاكم وسجون ، وقلما كان الناس هناك يبغى بعضهم على بعض ، وإذا وفد عليهم الحجيج كان له فيهم وفادة ورفادة وإكرام ، وكان الحجاج يتموّنون من أسواقهم التى تجلب إليها البضائع والأرزاق من اليمن والشام فى رحلتى الشتاء والصيف . وإذا نزلت بهم نازلة أو حزبهم أمر أو احتاجوا إلى الدخول فى حرب أو الرجوع إلى السلم فقد كانت لهم دار ندوة كان من نظام جدهم قصى الذى رسمه لهم أن يجتمع فيها ذوو الرأى والحجى والرآسة فيهم فيتشاورون فيما تقتضيه مصلحتهم . واتفق أن وقع مرة شىء من الضيم لحاج يمنى جاء بتجارة له ، فمطله حقه بعض الذين تعاملوا معه ، فاجتمع شباب قريش فى منزل عبد الله بن جدعان التيمى من رهط أبى بكر الصديق ، وكان المولود الذى نحتفل فى هذا الشهر بذكراه قد بلغ يومئذ سن الفتوة فكان أحد المجتمعين مع عمومته فى دار ابن جدعان ، وعقدوا بينهم حلف الفضول ، أن لا يعلموا بمظلوم أو بمطول الحق فى مكة إلا تعاونوا على رد مظلمته واستخراج حقه ممن مطله . وقال صلوات الله عليه بعد أن بعثه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الله بالرسالة العظمى يذكر اغتباطه بذلك الحلف واشتراكه فيه : ولو دعيت اليوم إلى مثله لأجبت .

هكذا كان مولودنا سلام الله عليه - حين بلغ سن الشباب - يتلفت حوله ذات اليمين وذات اليسار ، فيتطلع إلى حقائق الأشياء من بين يديه ومن خلفه ، ويستجلى ما يقع عليه نظره من حق وخير فيغتبط بهما ، ويتأمل فيما يلمحه من باطل وشر فيستنكرهما وينكرهما .

سافر مع عمه فى تجارة إلى الشام ، ثم سافر بأوسع من ذلك فى تجارة لخديجة ، فعامل الناس ، وشارك بعض الناس ، ومنهم السائب بن الحارث السهمى من رهط عمرو بن العاص الذى دخلت مصر فى الإسلام على يده ، قال السائب يصف معاملة شريكه صلوات الله عليه كان خير شريك ، لا يشارى ولا يمارى ولا يدارى (١) .

وأراد أن يتجرد عن مؤثرات البيئة ومألوف الناس ، فكان يهيم على وجهه فى البادية وبين الجبال ينظر فى آفاق هذه الطبيعة وما خلق الله فيها من دقيق وجليل ، وشامخ وذليل . وما تنبت أرضها ، وما يزدهر فى سمائها من كواكب ثابتة ومتنقلة تشرق وتزهر وتغيب فى الجانب الآخر من ملكوت الله الأعظم . وبلغ به السير إلى جبلى حراء وثبير فيما بين مكة وعرفات ، فكان يرتقى حراء فتنبسط بين يديه آفاق الأرض وجبالها فى مدى بصره ، ويرنو بمقلتيه إلى القبة الزرقاء فوقه ، فيكتشف فى نفسه عظمة الخالق بما يتأمل فيه من عظمة المخلوق .

فى هذه البيئة البعيدة عن الناس من أخيار وأشرار ، كان يخلو بنفسه ، فيتصل قلبه وعقله بالله سبحانه ، فيخلص الضراعة والعبادة له ، ويتحرى ما ينبغى أن يكون فيه رضاه ، إلى أن أوحى الله إليه برسالته العظمى التى إذا قارناها بجميع رسالات الأنبياء والرسل كانت بلا ريب أكمل رسالات الله ، وهى رسالة كل من يؤمن بها من بنى الإنسان إلى يوم القيامة .

إن سيرة هذا المولود العظيم فيما بين ولادته ورسالته كانت أمراً عظيما ، وسيرته فيما بين رسالته وهجرته كانت أمراً أعظم ، وجهاده فيما بين هجرته والسنة التى أكمل الله فيها للمسلمين دينهم ، وأتم عليهم نعمته ، ورضى لهم الحنيفية السمحة دينا ، كانت أعظم وأعظم . هى أدوار

(١) المشاراة : اللجاج . ومنه استشرى إذا خ فى الأمر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لاثة : دور الاستعداد والتكوين ، ودور الدعوة بالإعداد والتكوين ، ودور بناء الأمة لمثالية التى كان ينبغى للمسلمين فى كل عصر من عصورهم وكل طبقة من طبقاتهم أن يختطوا ناء مجتمعهم على أساسها وعلى مثالها .

لو أن محمداً صلوات الله عليه لم يحرص فيما بين نشأته ورسالته على أن يسير فى طريق لكمال لا يحيد عنه فى دقيق أو جليل ، ولو أن الله عز وجل لم يسدد خطاه فى ذلك الطريق يما بين صباه وسن الأربعين ، لكان شأنه كشأن غيره من الناس ، ولما كان عظيم العظماء ن زمنه إلى زمننا وما دامت الإنسانية باقية ، إلى أن يكون عظيم العظماء يوم البعث الأعظم ، والله أعلم حيث يجعل رسالته » .

إن هذا الدور الأول فيما بين زمن الصبا إلى سن الأربعين كان مدرسة هذا الأمى الذى حرى الحق والخير فى ظروفه كلها ، وكان الامتحان فى غار حراء ، وكانت الشهادة العظمى له لفوز والنجاح بالوحى والتنزيل ، ثم خاض غمرات البلاغ والتخير ، كان يتخير الصخرات لعظام التى سيبنى عليها قلعة الإسلام ، كان يضع الأساس الذى يقيم عليه الأمة المثالية ، وكان مثال أبى بكر الصديق ، وما أقل أمثال أبى بكر الصديق فى الدنيا ، هم الذين بنى عليهم صاحب لرسالة العظمى قلعة الإسلام ، وهم الذين أقام على عواتقهم الأمة المثالية .

لقد دعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكانوا يستجيبون له لواذا بعضهم إثر بعض ، ن أوائلهم استجابة للإسلام ـ بعد خديجة وعلى وأبى بكر وجعفر بن أبى طالب ـ : طلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وعثمان بن عفان ، وسعد بن أبى وقاص ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعبد الرحمن بن عوف ، والمقداد بن الأسود ، عبد الله بن مسعود ، وخباب بن الأرت التيمى ، وعتبة بن غزوان ، والأرقم بن أبى الأرقم لمخزومى وفى منزله كانت الدعوة والاستخفاء . وكم من عظيم تأخرت استجابته ثم كانت حياته ركة وخيراً على الدعوة ، كعمر بن الخطاب ، وعمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد . ومن عجيب أمر هذه الرسالة والأمة التى استجابت لها أن الذين ماتوا منهم على العداوة للإسلام والكفر به عدد قليل جداً لو شاء مؤرخ أن يحصيهم ويستقصيهم بأسمائهم ، لكانت منهم أمة قصيرة لا تعد شذوذاً فى مجموع الأمة العربية التى زحفت تحت رايات أبى بكر وعمر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وعثمان لنشر الدعوة فى الأقطار البعيدة . ولم ينتقل حامل هـــذه الرسالة العظمى إلى الرفيق الأعلى إلا وهو قرير العين بمن كان يصلى فى مسجده خلف أبى بكر من رجالات كان أستاذهم أعرف الناس برجولتهم وبطولتهم وصادق إخلاصهم لله ورسوله . ولا تعرف الإنسانية فى جميع تواريخها أمـــة مثالية خرجت للتاريخ من تحت يد رجل واحد ، تولى تربيتها وتكوينها وإعدادها لحمل رسالته ، كالأمة التى صحبت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وحملت رسالته .

وكانت الحقبة الأخيرة من حياة صاحب هذه الذكرى هى حقبة الوفود عليه من القبائل القاصية فى الشمال وفى الشرق إلى الخليج العربى ، ومن أعظمها بركة وفود الجنوب من أهل اليمن الذين لهم ماض عريق فى العظمة وأمجاد الفتوح ، فتجدد ظهور جوهرهم وكريم معدنهم تحت رايات الخلفاء بما تمت به المعجزة فى أعجب انقلاب اجتماعى وعقلى تكون به هذا العالم الإسلامى .

إن الإسلام ـ وتكوينه الأمة المثالية ـ كان يكون رهنا بحياة صاحب هذه الرسالة لو أن الرسالة بقيت بعده مجهولة ، فكان ينحصر قيام الدعوة وتكوين الأمة المثالية فى مدة حياته ثم يزول أثر ذلك بعده . أما والرسالة قد تولى الله حفظها ، والكتاب المنزل ببيان هذه الرسالة وبالدعوة إلى تكوين الأمة المثالية موجود الآن بنصه فى يد كل مسلم ، وألوف من المسلمين يحفظونه عن ظهر قلب فى كل جيل ويتلونه على مسامع الناس فى الغدو والآصال ، فإنه لا عذر لأى جيل من أجيال المسلمين فى أن يتخلف عن الانطباع بطابع الجيل المثالى المعاصر للمسلم الأول ، معلم الناس الخير ، الذى نحتفل الآن بذكرى مولده ، صلوات الله وسلامه عليه .

كتاب هذه الرسالة الذى عمل به الجيل الأول فكان به جيلا مثالياً ، قد تولى الله حفظه لكل جيل ، ليكون حجة لله قائمة على الناس ليسعدوا به ويكونوا أمة صدق متينة الأخلاق قوية العزائم ، مقيمة للحق ، مغتبطة بالخير ، متعاونة عليه .

كل توجيه بذله مولدنا الأعظم صاحب هذه الذكرى عاملا به على تكوين الجيل المثالى الذى غير وجه المعمورة فى زمانه ، قد دونه علماء هذه الملة وأئمتها فى دواوين السنة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهو معروض الآن على أنظار كل من يحب أن يسير بسيرة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وأبي عبيدة وطلحة والزبير وسعد وسعيد وابن مسعود وإخوانهم ومن جاء بعدهم . ولماذا لا يتخير كل مسلم قدوة له من الصحابة فيدرس سيرته ويحاول السير عليها والتزام ما فيها من حق وخير ؟

إن في هذه الأمة من ينطوي قلبه على محبة أبي بكر أو محبة عمر أو محبة علي أو محبة خالد بن الوليد ، فلماذا لا يتحرى من يحب منا واحداً من هؤلاء أن يدرس سيرته ويقتدي بها ويجدد حياة محبوبه بإظهارها للناس كما كان عليها ذلك الصحابي في مدة حياته ؟

إن من يحيي سيرة صحابي لأنه كان محبوباً من رسول الله لا شك أن رسول الله سيحب الذي يحيي سيرة ذلك الصحابي كما كان يحب ذلك الصحابي . وإذا كثر الذين يفعلون ذلك منا أوشك أن يتجدد في عصرنا هذا كل ما كان في العصر النبوي من حق وخير .

وهذا ممكن ، ولا يحول بيننا وبينه إلا ضعف الهمة عن تحقيقه . بل نحن مأمورون بأن يكون لنا في حياة رسول الله صلوات الله عليه أسوة حسنة ، فمحاولة كل محب أن يتأسى برسول الله ويتحرى سيرته ويعمل بها هي مفتاح التجديد العظيم في حياة الإسلام ، وبها يكون البعث الجديد للإسلام على الأرض .

لقد نجم في بعض عصور الإسلام الماضية ناس من الملاحدة والشعوبيين تظاهروا بالانتماء إليه ، وكانوا في سرائرهم أعداء له ، فكان من أخبث ما دسوه في الإسلام ليبطلوا العمل به تسوية سمعة أصحاب رسول الله ، وتحريف سيرتهم ، وتأويل محاسنهم بما يوهم أنها سيئات ، فأفسدوا على المسلمين طريق الأسوة بهؤلاء الأكابر لئلا نجدد للإسلام شبابه الذي كان له في زمن الجيل المثالي ، الجيل الذي رباه صاحب هذه الذكرى بيده ، وأعده لمواصلة المهمة التي جاء بها الإسلام . وهذه الدسائس التي دسها الشعوبيون والملاحدة في تاريخ العصر الإسلامي الأول مكشوفة مفضوحة لكل من يحاول تصحيحها من النصوص المحفوظة في كتب أئمة الحديث وأعلام الإسلام . وسيكون من ثمرات تصحيح التاريخ الإسلامي رده إلى حقيقته الأولى أن ننعم بالحرمة والإجلال لذلك العصر ، وأن نتأسى بسجايا أهله ، وأن نعمل على تجديده .

الإسلام عقيدة وعبادة وأخلاق ونظام اجتماعي ، ومن أعظم ما يغالط به المسلمون أنفسهم أن يزعموا أن تجديد رسالة الإسلام من عمل الحكومة لا من عمل الأمة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إن الحكومة تقوم بواجبها ما أقامت العدل والأمن فى الناس . وما أحسنت الدفاع عن حياض الأمة وحصنت الوطن الإسلامى بأسباب القوه . أما تجديد شباب الإسلام وبعثه فى عقائدنا وشعب إيماننا ، وطاعتنا لله فى أخلاقنا وسيرتنا ، فى بيوتنا وأسواقنا وأنديتنا ومجتمعنا ، فهذا من واجب كل مسلم ومسلمة ، وهو الآن أوجب من كل وقت آخر بعد أن صار لنا فى المحيط الدولى هذا الصوت المرتفع ، والمكانة المحترمة ، والكلمة التى تحسب الدول حسابها . فإذا لم يكن لنا من وراء ذلك قلوب مؤمنة ، ونفوس مطيعة لله ورسوله ، وأخلاق إسلامية نتعامل بها فى بيوتنا وأسواقنا ومجامعنا وفى كل شئوننا ، فإن ذلك يعتبر تقصيراً منا فى التجاوب مع ولاة أمور بلادنا الذين عملوا من جانبهم فى أقصر مدة أقصى ما يمكن أن يعمله من كان فى مركزهم ، إنهم عملوا ويعملون من جانبهم ما يجب عليهم من أسباب القوة ، وأنا وأنت ، وزوجتى وزوجتك ، يجب علينا أن نعمل من جانبنا ما يجب علينا من هذه الأسباب ، وفى طليعتها الأخلاق التى هى من صميم رسالة الإسلام ، والتى بها بلغ المسلمون الأولون مستواهم الرفيع ، وبها وبالإيمان الصادق انتشر الإسلام واتسعت رقعة العالم الإسلامى .

خير ما نهديه إلى رسول الله فى ذكرى مولده ، وفى كل ذكرى من ذكريات حياته ، إحياء رسالته وتجديد شبابها . والأخلاق من رسالته ومن أسباب نجاح هذه الرسالة . وإذا كان فى الصحف المنتشرة والمجلات الماجنة ما يفسد على الناس أخلاقهم ، فإن فى يد الناس أن يكفوا عن قراءتها وعن إدخالها بيوتهم فتموت بلا رجعة ، وهل تعيش هذه الصحف إلا من القروش التى يمدها بها أناس نسمعهم يشكون منها ويتذمرون من سوء أثرها فى ذويهم ؟ بل إن هذه الصحف تتقرب إلى قرائها بالفحشاء استدراجا لقروشهم ، واعتقاداً منها بأن الفحشاء بضاعة رائجة ومطلوبة ، ولو أمسك الناس عن إمدادها بهذه القروش . وتبين لأصحاب هذه الصحف أن التقرب إلى القراء وإلى قروشهم لا سبيل إليه إلا نشر الفضيلة ، لكانوا فى طليعة الناشرين للفضيلة والداعين إليها . . .

أيها المحتفلون بذكرى المولد المحمدى الكريم إن خير ما تحتفلون به لإحياء هذه الذكرى إحياء رسالة صاحبها ، فليعمل لذلك كل واحد منا ما يستطيعه من جانبه ، حتى نلتقى جميعا فى العام القادم فى ملتقى نحمده إن شاء الله ؟

محب الدين الخطيب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

— ٦٣ —

إذا تمادى الإنسان فى أعمال الشر سمى شيطانا

« وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا : شياطين الإنس والجن ، يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا » .

مما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبى ذر صاحبه : ـ يا أبا ذر ! هل تعوذت بالله من شر شياطين الإنس والجن ؟ فقال أبو ذر : يارسول الله ! وهل للإنس من شياطين ؟ قال عليه السلام : نعم ، هم شر من شياطين الجن !

وقال مالك بن دينار : إن شيطان الإنس أشد على من شيطان الجن ، وذلك أنى إذا تعوذت بالله ذهب عنى شيطان الجن ، وشيطان الإنس يجيئنى فيجرنى إلى المعاصى عيانا .

والقرآن الكريم يسبق هذه المأثورات ويؤيدها فى الآية التى معنا ، فيحدثنا أن الله جعل لكل نبى من أنبيائه عدواً من الشياطين ومن الإنس ، ويسمى الإنس المعادى لدينه ولأنبيائه ، شيطانا ، فهو سبحانه يجمع الفريقين تحت اسم واحد « الشياطين » لأنهم يقومون بعمل واحد فى الفساد ، والإفساد ، ومحاربة الدين ، ومعارضة الرسل . . .

والله سبحانه ـ يبين لرسوله محمد صلوات الله عليه ـ كيف كانت عداوة الشياطين من الفريقين . فيذكر أن بعضهم يوحى إلى بعض زخرف القول : يعنى أن شيطان الجن يوسوس لشيطان الإنس فيطرح فى خياله وخواطره زخرفة الأقوال الباطلة التى يعارضون بها دعوة الرسل ، والتى يتحدثون بها إلى الناس فى ترويج المعاصى ، وتهوين المفاسد . وهذه الزخرفة والتحسين يروجان عند صغار العقول ، وعديمى الإيمان ، فينقادون لها وينشطون فى العمل بها ، ظانين أنها مستحسنة وصواب ، أو مستحسنين لها وهم على علم بمخالفتها للحق الذى ينادى به كتاب الله .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وبهذا يكون المفسدون من الناس قائمين بوظيفة الشياطين الذين عرفوا بنزغات الإنسان والوسوسة فى خواطره ، وكل ذلك من شأنه أن يكون خفيا ، لاجهرا ، ولهذا سمى وحيا كما فى قوله تعالى : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون » .

والله تعالى يحدث نبيه بأن هذه سنة قديمة فى معاداة الشياطين من الفريقين للأنبياء منذ القدم ، وحكمة الله فى ذلك : أن يشجع رسوله على احتمال الأذى من أعدائه ، كما احتمله رسل سابقون ، وحكمته تعالى فى تسليط الشياطين من الفريقين على أناس آخرين أن يختبر عباده ، لا ليعلمهم ويعرف أمرهم فهو أعلم بهم من أنفسهم ، بل ليكشف لهم عن مقدار إيمانهم ، وعن استعدادهم للثبات على دينهم ، أو سرعة انحرافهم عند البلاء .

فقد يغتر الإنسان بنفسه ، ويظن أنه مطمئن الإيمان ، وأنه يساوى غيره من الصادقين المجاهدين الصابرين .

ولا يكاد يفهم درجة نفسه فى تدينه ، ولا مقام نفسه بين المؤمنين حقا إلا إذا عرضت له أسباب تكشف له ما خفى عليه من أمره . . . وعندئذ يحاول الكمال إن تبصر وأحسن الاختيار ، أو يدرك أن تفاوت المنازل بين العباد عند الله منوط بتفاوت الإيمان كمالا ونقصا فلا يكون لأحد عند الله حجة ، وهذا أقصى ما نستطيع تصوره من عدل الله تعالى مع خلقه .

ثم نعود فنقول : ماذا يقصد الشياطين من زخرفة القول ، وتحسين القبائح ؟ ! صرح الكتاب العزيز بذلك فى قوله « غرورا » يعنى لتغرير الناس ودفعهم إلى الباطل المزخرف .

وصرح به ثانيا فى قوله « ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة . . . يعنى لتميل إلى هذا الباطل قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ليتخذوه ديناً ومعتقداً لهم .

وصرح به ثالثا ، فى قوله « وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون » يعنى ليفرحوا به ويعكفوا عليه ، وليرتكبوا من المعاصى ما هم مرتكبون ، مستبيحين لهذا الباطل ، معرضين عن الحق الذى ينادى به الرسل ، وتحفل به الكتب ، وخاتمها القرآن الكريم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وإنما فعل الله ذلك ببعض عباده لسابق علمه أن استعدادهم سيء ، وأن الهدى لا ينفع فيهم ، فترتب على ذلك معاملة الله لهم بما هم أهله .

وهنا مناقشة فلسفية يتطرق إليها الكلام : وهى هل قدر الله عليهم الانحراف أولا ثم وجد منهم سوء الاستعداد بسبب ما قدر عليهم ؟؟ وما ذنبهم فى هذا وقد قدر عليهم ؟؟

وللعلماء توجيهات لا نطيل فيها ، ويكفى أن نأخذ برأى مقبول ، وهو أن الله تعالى علم أزلا أن الكفار مثلا يسيئون الاختيار لسوء استعدادهم الفطرى وسوء الاختيار منهم فقدر عليهم ذلك الانحراف لما يعلمه من حالهم بعد ، : فهناك علم سابق بسوء اختيارهم ثم قضاء عليهم بالمخالفة والانحراف ، ثم وجدت منهم المخالفة تنفيذا للقضاء المبنى على سابق العلم

وكيفما كان فقد أرشد الله إلى التحفظ من وساوس الشيطان فقال سبحانه « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم » .

وواضح من هذا أن العبد إذا أحس بخواطر فاسدة تدور فى خياله وذهنه فليتنبه إلى أنها وساوس الشياطين ، وليسرع إلى الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والاستعاذة بالله حصن يحتمى به العبد وينجو من مكايد الشيطان كما وعد الله بهذا فى قوله « إنه ليس له سلطان على الذين آمنو وعلى ربهم يتوكلون » .

وأما شيطان الإنس ، وهو رفيق السوء ، فسهل على المرء أن يتجنبه إذا عرف منه سوء الصحبة ، والأمر أمر يقظة وحسن تقدير ، فمن راعى جانب الله استطاع أن يتحفظ ، ومن غفل عن جانب الله زلت قدمه وساءت عاقبته ، ولن ينفعه صاحب ، ولا ولد ، ولا مال ولا ندم .

وبعد ـ فقد عرضت الآية الكريمة لذكر الإنسان والشيطان فى نمط واحد :

(ا) ونحن إذا وقفنا إزاء كلمة إنسان ، لنستوحى معناها ، وخصائصها ، وما لها عند الله من قدر ، وجدناها فى جانب علوى ، وفى إطار كريم من الجلال والرعاية .

(ب) وإذا وقفنا إزاء كلمة شيطان ، وما يحيط بها من شناعة ، وما اقترن بها من مهانة وجدناها فى مهبط سفلى ينحدر فى الخسة حتى لا ينتهى عند غاية سوى اللعنات اللاحقة به من الله ، وعلى كل لسان .

فإنسان : عنوان كريم يشعرنا بالأنس ، ويوحى بالطمأنينة ، ويثير عاطفة الإخاء والمحبة ، وإنسان : هو ذلك المخلوق الذى كرمه ربه ، ومجده لدى ملائكته ، وشغل الدنيا به ، وخلق ما فيها لأجله ، وهيأه بعقله ، ومواهبه للإيمان ، وكرر نداءه ، وأطمعه فى مرضاته ، والخلود

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى نعمائه ، وحذره من سخطه ، ولم يترك له من وسائل الهداية أمراً يتعلل بجهله ويعتذر به عن تخلفه .

وشيطان : عنوان بغيض ، يثير التشاؤم ، ويشعر بالغضاضة ، ويخيف من المكاره ، ويزعج من خطرها حتى كأنها قرينة لذكر اسمه ومحدقة بالمرء ولا مفر .

ويمكن أن نوجز هذه المقارنة فى اعتبار كلمة إنسان مرادفة لكلمة خير . . وفى اعتبار كلمة شيطان مرادفة لكلمة شر ، وبين اللفظين فى مدلولها بعد ما بين المشرق والمغرب . أو بعد ما بين العافية والبلاء .

فما الذى جمع بين مدلوليهما حتى دمجهما فى لفظ واحد ، وسمى الإنسان شيطاناً ؟ . . وما الذى هبط بالإنسان من عليائه ، وجرده من جلاله ، حتى أصبح رجيما ، لا كريماً ؟ ؟

جواب ذلك : أن الإنسان خرج من إطاره ، ونسى صلته بربه ، وتجاهل عداوة الشيطان له ولأبيه آدم من قبل ، ثم طرح جانباً ما أوصاه به ربه : من حذر ، وحيطة ، ومجانبة لإغواء هذا العدو المبين ، وأخذته وساوس الشيطان ، وراقت له مفاتنه فانحدر إليها ، وانغمس فيها ، بل تجاوز هذا إلى القيام بما يقوم به عدو الإنسان ، وأصغى إلى وحيه واستجاب لتنفيذه نحو أخيه الإنسان ، فكان هذا المفتون جندياً بل كان فى مسلكه شيطاناً حتماً ، ولو أن المرء ركن إلى ربه ، واستعاذ به من غواية الشيطان ، واستنهض عقله ومواهبه فى التحرز من الوساوس ، ومن زخرفة الأباطيل ، واحتفظ بمكانته عند ربه لكان فى مصاف الأخيار ، وفى عداد الأبرار . . وليس يحول بين المرء وهذا سوى غفلة وشهوة ، وجهالة ، وضلالة . . ومن خلال ما ذكرنا يتضح أن المرء مسئول عما اختاره لنفسه ، ومحاسب على صنيعه ، ولو عالج قصوره بالرجوع إلى ما جاء من عند الله ، وعالج تقصيره بالتوبة والإنابة لكان له من عفو الله نصيب ، وقد جعل الله بابه مفتوحا لكل قاصد ، وقبوله ، ورضوانه وإحسانه مرجوا لكل منيب .

فاللهم اجعلنا فى ديننا ودنيانا على خير ما دعوتنا وعودنا الخير كله . ولا تجعلنا من شياطين الإنس ، ولا من أتباع الشيطان فى شىء .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السنة

الواصل والمكافئ

قدرت وقدر الله ـ رحم الدين ، ورحم القرابة ـ رحم الأخوة العظمى ـ سيد الواصلين فى قومه ـ القطع فى الله وصل ـ أصناف الناس فى المعاملة ـ الإحسان الحق ـ الواصلون حقا .

عن عبد الله بن عَمْرو رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها .

رواه البخارى(*)

ودعت الكتابة فى السنة إلى أجل كنت قدرته عاماً أو عامين ، ولكن قدر الله ألا يزيد على شهرين . . . فإن يكن العود أحمد ، فالفضل لمن بيده الفضل سبحانه ، ثم لأسرة هذه المجلة وقرائها ، فما فتئوا يذكرونى أن أصل رحما ربطتها المجلة بيننا ، ثم جاءت السنة فشدت رباطها . . وكأن الرحمن جلت آلاؤه ، ألهم عبده السيد مدير المجلة ، أن يكتب حديث السنة السابق فى صلة الرحم ، تجديداً للتذكرة ، وتوكيداً لما بيننا من آصرة . . .

* * *

ذلك ، والرحم عامة وخاصة . وكل مما أمر الله به أن يوصل ، فى غير محادة لله ورسوله :

فأما الرحم الخاصة . فهى القرابة على اختلاف درجاتها ، فإذا اشتدت فإن قطيعتها لغير الله أعظم جرما ، كما أن صلتها لله أكبر درجات وأكبر تفضيلا . .

---

[*] فى الصدارة من كتاب الأدب . والرواية بتشديد « لكن » ويجوز تخفيفها . وأكثر الروايات فى « قطعت » بفتحات ، وفى بعضها بضم القاف وكسر العين .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وتكون صلة الرحم العامة بالعدل والإنصاف ، وتأدية الحقوق الواجبة ثم المستحبة .

وتمتاز صلة الرحم الخاصة بمزيد العناية والرعاية فى النفقة والمودة والتناصح والتسامح ، وتفقد أحوالهم ، والتغافل عن زلاتهم ، والسعى فى مصالحهم ، فى حدود الوسع والطاقة ، ولا سيما أهل الصلاح منهم والاستقامة ، فأما الكفار والفجار ، فأهم صلتهم بذل الجهد فى إصلاحهم . . ثم إنذارهم بالقطيعة إن تمادوا فى غيهم . . مع إعلامهم بأن القطع فى الله تعالى هو عين الوصل ، ومع الدعاء لهم بظهر الغيب أن يهديهم الله إليه صراطا مستقيما . . .

وقد نال سيد الواصلين صلى الله عليه وسلم من أذى قومه ما لم ينله أحد ، فعف وعفا وقال : اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون . .

ووصى صلوات الله وسلامه عليه فشدد الوصية بأهل بيته خيراً ، وقال فى بعض رحمه : إن آل أبى فلان ليسوا بأوليائى ، إنما ولى الله وصالح المؤمنين ، ولكن لهم رحم أبلها ببلالها .

ولما نزلت هذه الآيه : « وأنذر عشيرتك الأقربين » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً فاجتمعوا ، فعم وخص فقال : يا بنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة أنقذى نفسك من النار ! فإنى لا أملك لكم من الله شيئاً ، غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها . رواه مسلم عن أبى هريره رضى الله عنه [١] .

وجاءه رجل فقال يا رسول الله : إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى ، وأحسن إليهم ويسيئون إلى ، وأحلم عنهم ويجهلون على ، فقال : لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك [٢] .

* * *

[١] روى البلال بالفتح والكسر مصدر بل كرد ، ويجوز على الكسر أن يكون جمع بلل كجمل شبه قطيعة الرحم بالحرارة ، وشبه صلتها بالماء الذى يندبها ثم يطفئها ، وهو من بديع التشبيه ، ومنه الحديث : « بلوا أرحامكم ولو بالسلام » وانظره فى الجامع الصغير .

[٢] شبه ما يلحقهم من آثام القطيعة بما يلحق طاعم الرماد الحار من الغيظ والألم ، وقد تكفل الله للواصل المطعم بالبر والمعونة والرعاية والكفاية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والرحم الخاصة هذه هى موضوع حديثنا هذا والحديث السابق ، وهى التى تراد عند الإطلاق ، وقد أعظم الله شأنها ، ورفع مكانها ، حتى اشتق اسمها من اسمه ، وصفتها من صفته ، وأجابها وهى فى مقام العائذ به من القطيعة : أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يارب ! قال فهو لك . . ثم قرنها بذكره ، فى مقام تقواه ومراقبته ، فقال جل سلطانه : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » ولو لم يكن لها من عظيم الشأن عند الله إلا هذا لكفى .

وأما الرحم العامة ، فهى رحم الدين الحق . .

وقد تقوى هذه الرحم حتى تكون أعظم من الرحم الخاصة شأناً وأعلى مكاناً .

فإذا تعارضت الرحمان فى رغبة قدمت رحم الدين على رحم القرابة ، فلا طاعة لمخلوق ـ كائناً من كان ـ فى معصية الخالق ؛ والله ورسوله أولى بالمؤمنين من أنفسهم ومن الوالدين والأقربين .

وهذه الرحم العامة شعب وضروب شتى :

فمنها رحم العلم ، ومنها رحم العمل ، ومنها رحم الجوار أفراداً وأمماً ، وممالك وشعوباً وأرفعها درجة وأعظمها قرباً ، ما اجتمعت فيه هذه المعانى كلها ، ثم هى بعد ذلك درجات لا تحصى عدداً .

وهذه الرحم العامة فى حقيقة أمرها ، واختلاف شعبها ، تمثل الجانب الأعظم ، من رحم أعم وأشمل ، رحم الأخوة العظمى ، والإنسانية الكبرى ، التى خلقها الله من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء . . ثم جعلهم شعوباً وقبائل ، ليعرف بعضهم بعضاً ، فيصلوا أرحامهم ، ويتبينوا أنسابهم ، ويتعاونوا على البر والتقوى . .

* * *

وكما تختلف الأرحام قرباً وبعداً ، يختلف الواصلون كذلك ضيقاً ووسعاً ، وقدرة وعجزاً ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها « فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى » .

* * *

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومهما يختلف الناس فى معاملتهم للأرحام فهم أصناف ثلاثة :

صنف قاطع ! وعياذاً بالله منه ومن القطيعة معاً ! وحسب هـذا وعيداً على عظيم إثمه وكبير جرمه ، قول الصادق المصدوق صلوات الله عليه وسلامه : « لا يدخل الجنة قاطع » رواه الشيخان عن جبير بن مطعم رضى الله عنه (١) .

وصنف مكافئ ، وهو الذى يصل من وصله ويقطع من قطعه ، فهو فى جملة أمره واصل ، وإن كان يقارض ويبادل ، فإن فى المبادلة صلة ، وإن لم تكن كاملة .

وإنما ألغى صلوات الله وسلامه عليه صلة المكافئ ، ولم يعد صاحبها فى الواصلين حقاً لأن الصلة على سبل المبادلة فقط ، ليست من تمام المكارم التى بعث لها صلوات الله عليه . ولأن صاحبها ليس من الراشدين الكاملين ، الذين يعدهم المربى الأعظم صلى الله عليه وسلم . لأن يكونوا سادة وقادة فى خير أمة أخرجت للناس .

ونفى الشىء أو إثباته مراداً منه جنسه الكامل ، من الأساليب المعروفة فى ألسنة المربين والبلغاء ، ومن ذلك قول بعض السلف : ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك فإن ذلك متاجرة . وإنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك .

وأبلغ من هذا قول إمام المربين وأبلغ الناطقين صلى الله عليه وسلم : « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب . ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس . ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة ولا اللقمتان إنما المسكين الذى يتعفف . . » روى الشيخان ثلاثتها عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وصنف واصل ، وهو المتفضل الكامل ، مراد النبى صلى الله عليه وسلم ، ومقصوده الأعظم فى هذا الحديث .

ذلك الصنف الثالث أقل المتقين عدداً ، وأكثرهم إحساناً ورشداً ، ذلك هو الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى . وما لأحد عنده من نعمة تجزى . إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى . ولسوف يرضى ؟

طه محمد الساكت

---

(١) وتقدم شرحه وافياً فى مثل هذا الشهر من عام المجلة الأول .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حقائق فلسفية
فى ميلاد الرسول الأعظم
ورسالته الخالدة

ماذا طالعت الإنسانية قبل أربعة عشر قرناً من الزمن ، وماذا حملت إلى الناس بين أطوائها إلا ذلك الوليد اليتيم الذى ألقته الإنسانية بين أحضان والدته آمنة وأسمته محمداً .

ومن الذى يستطيع أن يتصور أن هذا الطفل اليتيم سيكون شغل العالم فى هذه المجموعة الشمسية بعد سنين معدودات ، ويبقى ذكره خالداً خلود الإنسانية ، وتعاليمه قائمة حية مع حياتها الأبدية .

إن محمداً صلى الله عليه وسلم أعظم آية من آيات الله فى الخلق يزداد أثرها فى قلوب الناس ، ويشتد تأثيرها فى عقولهم ، كلما ارتقت المعارف الإنسانية والكمالات البشرية ، وأدرك الناس مبلغ قوة الفرد ، تلقاء الطبيعة والمجتمع ، وغاية ما تستطيع أن تحدثه قواه المحدودة فيهما .

نعم إن محمداً كان رسولا يعمل بوحى من الله ، ويعتمد فى ممارسة خصائصه على تأييده سبحانه ، وقد وعده الحق بالنصر المؤزر ومحمود العاقبة ، فمن حمل هذه العقيدة أيقن أن ما بلغه محمد فى أكناف هذه الرعاية الإلهية لم يكن عجبا ولا فريداً فى ناموس هذه الإنسانية ، ولكن الذى يعجب فى صورة التشكيك لما التبس عليهم من حقائق هذا الكون وأسراره أولئك الذين لا يعتقدون برسالته من الأمم ويعدونه عبقريا فحسب .

نعم هؤلاء هم الحيارى المترددون الخياليون الواهمون الذين يحق لهم أن يعجبوا وأن يحاروا فى تعيين المنزلة التى يضعون فيها محمداً بين المراتب الإنسانية الخالصة .

لا مرية فى أن تاريخ الانقلابات الاجتماعية أفصح برهان على أن جميع الأفراد من أعلام الرجال الذين قاموا بتلك الأحداث الخطيرة فى تاريخ البشرية أعلام ولدوا فى جماعات محكمة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الروابط مستحصدة العرى فدفعوا بها إلى ضروب من الحركات الانتقالية الجريئة الواعية ، عدوا معها - بغض النظر عن المظالم التى اقترفوها - من أعلام التاريخ : فبختنصر البابلى ، وقيروش الفارسى ، والإسكندر المقدونى ، وجنكيز خان المغولى وغيرهم ، كل هؤلاء كانوا عياهل فى أقوامهم ، وقد ولدوا فى شعوب متماسكة الآحاد ولا يعوزها غير التوجيه إلى الغايات البعيدة مصحوبة بحنكة فى القيادة .

وكذلك الحكم فى الرسالات الدينية نفسها ، فموسى بن عمران عليه السلام الذى أرسل إلى بنى إسرائيل فى مصر استقبل منهم كمستنقذ لهم مما هم فيه من صنوف الضلالة فلم يبذل فى استمالتهم إلى تعاليمه جهداً كبيراً ، واضطر أن يقف فى التيه ولم يدخل بنو إسرائيل إلى فلسطين إلا بعد وفاته . وعيسى عليه السلام نشأ فى أمة مستكملة شرائط الاجتماع ، ومع ذلك لم يؤت تعاليمه الحكيمة الرشيدة التى تطلبها أتباعه إلا بعد أن اختمرت فى مدى نحو أربعة قرون .

ولكن محمداً الذى كان أكبر آيات الله فى الخلق ولد فى أمة كانت على الحالة القبلية فلم يجد معيناً له حتى من القبيلة التى هو منها ودفع لأن يلتمس المعونة على أداء مهمته من جماعة ينشئها إنشاء ، فتم له ذلك فى بنى الأوس وبنى الخزرج سكان يثرب .

لقد كانت هذه عجيبة وكل ما حدث بعدها سلسلة من العجائب التى تلا بعضها بعضاً ، اتسعت لها الأيام القليلة اتساعاً محيراً العقل البشرى حتى تم له فى ثلاث وعشرين سنة من تعاليمه الدينية وإرشاداته الخلقية وقضاياه الإنسانية فى مختلف آفاق الدنيا مستقصية الحياتين حياة الزاد وحياة المعاد ، بل حياة الابتلاء وحياة الجزاء ، مالا يعقل أن يستكمل وينمو إلا فى عديد من القرون .

فلما آنس صلى الله عليه وسلم خذلان القبائل كلها حنقاً عليه وتبرماً به وتنكراً لعظيم شأن رسالته حسبما تبين له من عرض رسالته عليها فى كل موسم من مواسم الحج شرع يلقى بهم فى زوايا الإهمال ويبتنى لنفسه أمة فتية جديدة ، نعم أمة جديدة !

ابتنى محمد صلى الله عليه وسلم للوجود كله أمة عالية فى أهدافها وسمو مطالبها فلا تقوم مثلا على وحدة الجنس ، ولا على وحدة اللغة ، ولا على الحاجات الجثمانية الملحة ، ولكن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على ما يصلح أن يكون ملاكا للبشرية الفاضلة كافة من الأصول الأدبية السامية والمبادئ الإنسانية الخالدة الكاملة .

فإن تعجب لذلك فأعجب منه أن يتم تأليف هذه الأمة فيصبح فيها الصناديد من قريش وخزاعة ، واللهاميم من تميم وأسد وهوازن ، وبعدهم الفرس والديلم والروم والسود والحبشان ومن لم يعرف له ضئضئ من جاليات الجماعات المختلفة فى مستوى واحد من الحقوق والواجبات الاجتماعية .

أو تقوم مثل هذه الأمة فى مثل تلك البيئة وقد عجز الفلاسفة والمصلحون والقادة فى العصور الأخيرة عن تأليف أمة عالمية ، وهى مما لا يمترى اثنان فى أنها المثل الأعلى للاجتماع ؟ .

وإن تعجب فأعجب منه أنها قامت فى تلك البيئة . وآتت من الثمرات ما لم تؤته أمة فى الأرض من أول عهد البشر إلى اليوم وفى مدى لا يذكر إلى جانب أعمار الأمم .

وغنى عن البيان أن محمداً غير ديانة القبائل العربية قاطبة ، وأبدلها منها دينا لا نسب بينه وبين تلك الوثنية التى كانت سائدة قبل هذه البعثة ، والدين أعلق الأشياء بالنفوس وأقواها سلطانا على القلوب . فأحال أخلاقها من جفوة البداوة وظلمة الجاهلية ، إلى لطافة الحضارة ورقة الطبائع ، وشيوع الدينية الفاضلة المهذبة فى مختلف آفاقها ، وقلب مبادئها من تأليه الأقوياء وتسخير الضعفاء والتقلب مع الأهواء إلى الأخذ بمبدأ المساواة وتقرير الحق لصاحبه ، بغض النظر عن جميع الاتجاهات ، مع الثبات على إقامة الأصول مهما اعتورت المكلف بإقامتها المصانعات وتجاذبته المسولات ، ولا يسيغ عقل عاقل عند كل مفترض أن يكون ذلك قد استكمل عناصره بواسطة الحديد والنار .

فهل سمعت فيما سمعت أنه أرسل الجيوش الجرارة حيث سار ، أو بالجلاوزة تلقى كل من يعصيه فى النار ؟ ألم تحط علماً أنه صلى الله عليه وسلم بعث وليس له قوة من الأرض ولا ناصر ، حتى اضطر أن يدعو إلى دينه سراً ، فلما أعلن الدعوة عودى وأوذى ، واضطر من آمنوا به إلى الهجرة إلى الحبشة دفعتين ، ثم اضطر هو نفسه . وقد تحالف قومه على قتله - أن يهاجر إلى المدينة فى جنح الظلام . فلما أشرق الصبح وهو فى الطريق ، اضطر هو وصاحبه أن يتواريا فى الغار ؟ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فلو أن الأمر قد اطمأن إليه بطريق الإعنات والإكراه ، لما بقيت رسالته خالدة ما بقي الفرقدان ، وإلا فهل سمعت أن طرائق تفرض على قوم فرضاً دون أن يقتنعوا بها ولا أن يعرفوا لها مورداً ولا مأتاة ، تبقى بعد وفاة من جاء بها يمارسها الخلف عن السلف ويتلقاها جيل عن جيل ، وتتوارثها أمة عن أمة ، حتى يكسف القمران ، وتسكن هذه الأرض من دوران . اللهم لا .

إني أشفق على الذين يدعون أن ما عمله محمد أثر من آثار العبقرية وأرثى لعقولهم أبلغ الرثاء ، ويحز في نفسي أن الذي يسند إلى محمد وصف العبقرية يجهل معناها أعمق الجهل فيظن أنها بمدلولها تعني درجة رفيعة من الذكاء الخارق . والحقيقة التي لا شية فيها أن العبقرية في مدلولها الصحيح إلهام يتنزل على صاحبه لا يعرف له مصدرا ولا وازعا فيندفع لعمل من الأعمال فيجيء مثلا أعلى لا يمكن تقليده . فإن كان محمد عبقرياً ، فهل يندرج تحت محيط العقل أن يكون مع عبقريته غير صادق يدعي بين الناس أنه رسول قد أوحي اليه من عند الله ، وهو يقول جل علاه « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ، أو قال أوحي إلي ولم يوح اليه شيء » .

بقي أن فريقا من المتقولين يدعون أنه كان ذكيا أبلغ الذكاء ولم يكن رسولا ، وهؤلاء الفرق كانت من المعاندين في أول دعوته والمكابرين يوم جاءهم يطالبهم بالتزام هذه الدعوة وهم مشركو القبائل وصناديدها في الكفر والإلحاد الذين كانوا ينفسون على محمد رسالته ودعوته ، وإلا فما هو قول المتعنتين الخارجين على رسالته في قول سبحانه « من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة ، فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ؟ » أو لم يقل « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » أو لم يقل أيضاً « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم . وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » أو لم يقل أيضاً « كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ، إن الله قوي عزيز » وأيضاً يقول « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إنى لأرثى لهؤلاء المكابرين الذين كابروا الحق إعراضا وعنادا وهم يعرفون فى دخائل نفوسهم أن الأنبياء إنما أرسلوا إلى أممهم حججاً قواطع وبراهين سواطع حتى لا تكون لهم حجة على الله وإلى ذلك يشير الله بقوله « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » . محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ونبوته خاتم النبوات وإعجازه فى القرآن ومعجزاته فى الأكوان شاهدة على صدق دعواه أصدق شهادة وأبلغ برهان وما أصدق قول العلامة البرعى الكبير : ـ

له همم لا منتهى لكبارها ... وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها ... على البرکان البر أندى من البحر

وما أصدق قول البوصيرى : ـ

فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وأنه خير خلق الله كلهم

حتى آدم أبو البشرية لأن محمدا أبو الروحية والبشرية معراج إلى الروحية .
ولذلك يقولون عن رسول الله بلسان الحال لا بلسان المقال .

وإنى وإن كنت ابن آدم صورة ... فلى فيه معنى شاهد بأبوتى

عباس طه
المحامى

سيادة الحق

نشر التوحيد طه فى الوجود ... مخلصا لله فيما قد فعل
لم يكن يطلب إلا أن تسود ... دعوة الحق ويعلو من عدل
ولذا ساد وذو الحق يسود ... بجهاد واعتزام للأمل
فاذكروا شهور ربيع والعهود ... نبهوا من نام منا أو غفل
نحن إن لم نسهر الليل فما ... كتب الله لنا أن نرتقى

محمود رمزى نظيم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من وحى المولد النبوى

إن الحديث عن المولد النبوى الشريف حديث متشعب الأطراف ، يتجه الفكر فيه إلى نواح مختلفة ، تتصل بالرسول الأعظم ، صلوات الله وسلامه عليه ، ففى شهر ربيع الأول ، ومنذ أكثر من أربعة عشر قرنا طواها التاريخ ، تشرف العالم أجمع بإمام المصلحين وخاتم النبيين والمرسلين ، ورحمة الله تعالى للناس أجمعين ، سيدنا ومولانا « محمد » بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، وظهر نوره بمكة فلمع فى الخافقين ، ورأى الناس لمولده المبارك الآيات البينات ، وشاءت الحكمة الإلهية أن يولد يتيما ، حتى يتولاه الله تعالى بالعناية والرعاية منذ نعومة أظفاره ، وأن يعده للنبوة والرسالة خير إعداد ، وشب وترعرع بعيداً عن الأصنام والأوثان ، وعما غرق فيه الجاهليون إلى آذانهم ، وتجمل بحميد الخلال ، حتى عرف بين قومه بالصادق الأمين .

ويتصل حديث المولد النبوى بما كان عليه العالم قبل الدعوة الإسلامية ، فقبل هذه الدعوة الغراء اضطربت الأحوال الاجتماعية والخلقية ، على ظهر البسيطة ، اضطرابا لم يعهد له مثيل ، وانحطت الأمم إلى مهاوى الرذيلة والفساد ، وعبثت يد الإنسان بما جاء به الأنبياء والرسل السابقون ، فأصاب الكتب السماوية ما أصابها من التحريف والتبديل ، وحجبت كلمات الله سبحانه عن العقول البشرية ، وحورب العلم فى كل مكان ، وانقلبت الفضائل بين الناس رذائل اتصفوا بها وأقبلوا عليها ، وحل الشقاق بين الأفراد والجماعات محل الألفة والوئام ، وشبت الحروب لأوهى الأسباب ، حتى ذهبت بقوة الغالب والمغلوب ، وعبدت الأصنام ، وقطعت الأرحام ، ووئدت البنات ، واعتدى القوى على الضعيف ، وإذا لم يجد الظالم من يناصبه العداء ، حارب أخاه الوادع المسالم ، وها هو القطامى الشاعر الجاهلى يحدثنا عن الحالة عندهم ، وما راء كمن سمع ، فيقول :

ومن تكن الحضارة أعجبته ... فأى رجال بادية ترانا ؟
ومن ركب الخيول فإن فينا ... قنى سلباً وأفراساً حسانا
وكن إذا أغرن على قبيل ... فأعوزهن رهط حيث كانا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أغرن من الضباب على حلال وضبة ، إنه من حان حانا
وأحيـــانا على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

ويتصل حديث المولد النبوى بالدين الإسلامى العظيم ، الذى رضيه الله تعالى ديناً لجميع الناس ، والذى يكفل لهذا العالم نظاما ، يجعل الكون كله أسرة ، والناس جميعهم متوادين متحابين ، ترى فيهم الغنى ولا ترى المحروم ، وتجد بينهم الضعيف ولا تجد المظلوم ، لأن الإسلام أنشأ بين الغنى والفقير سبباً هو البر ، وأوجد بين القوى والضعيف نسبا هو الرحمة . وله من ديمقراطيته الأصيلة ، واشتراكيته المعتدلة ، وأخوته الشاملة مناعة من كل سوء ، وأمنة لكل جنس ، ومودة لكل دين . وسيمحو نوره المتخلف من نور غيره كما يمحو لسان الصبيح المنير المتخلف من جيوش الظلام .

ويتصل حديث المولد النبوى بالقرآن العظيم ، الذى أنزله الله على أشرف الورى من فوق سبع سموات ، يهدى به العلى القدير من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ، وقد ضمن الله لهذا الكتاب الكريم الحفظ والبقاء ، لأنه ينمو من نفسه كما ينمو الحى ، ويضىء من ذاته كما تضىء الشمس ، ويتجدد من طبعه كما يتجدد الربيع ، ولم تستطع الإنسانية إلى الآن ، على ماجربت من تجارب ، وبلغت من حضارة ورقى ، وعرفت من فنون الحكم وألوان الحكومات ، أن تنشىء نظاما سياسياً يتجلى فيه العدل بأروع صوره كما فى القرآن الحكيم ، ولقد ذهبت الإنسانية فى الحكم مذاهبها المختلفة ، فاستظلت بحكم الملوك ، وسعدت به قليلا ، وشقيت به كثيراً ، ثم عرفت النظام الديمقراطى ، الذى يرد إلى الشعب أمور الشعب ، فنالت به قسطا من العدل ولم تنل به العدل كله .

وسلكت الإنسانية فى سبيل الوصول إلى الحكم الصالح جميع الطرق فلم تنته إلى غاية ، وما زالت هذه الإنسانية تشكو الظلم ، وتبحث عن النظام القويم الذى يضمن للناس جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، الحرية والعدل ، والإخاء والمساواة ، وهذا النظام القويم هو الذى نادت به آيات التنزيل الحكيم ، ورفع لواءه إمام المرسلين ، وعز به المسلمون فى فجر الإسلام وضحاه ، وظهره وعصره ، فنبتوا فى رياض الإسلام أعزة كراما . وعاشوا فى رحابه أعزة كراما ، وواجهوا الدنيا أعزة كراما ، لم ينهزم لهم جيش ، ولم ينكس لهم علم ، بل فتحوا فتوح الجبارين ، ودونوا تاريخهم بمداد من الفخر على صفحات من نور .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويتصل حديث المولد النبوى بالأمة الإسلامية وهى خير أمة أخرجت للناس ، وقد حملت مصباح النور حين عم الكون الظلام . وأرشدت العالم إلى بر السلامة وشاطىء النجاة ، حين تاه فى عباب الجهل . حتى أمسى تاريخها تاريخ الكمال الإنسانى على وجه الأرض ، وقد كانت من قبل أمة بدوية ، ثم نهضت بفضل الرسول الأعظم نهضة الأسد ، وهب المسلمون يحملون فى يمناهم نور القرآن العظيم . يضيئون به للشعوب طريق العزة فى الدنيا ، والسعادة فى العقبى ، وفى يسراهم السيف يردون به الضالين إلى طريق الحق والرشاد ، فامتلأت الأفئدة خوفا منهم . وثلوا العروش . وتهاوت أمامهم التيجان . وحسب لهم ألف حساب وحساب .

وإذا كان على المسلمين فى المشارق والمغارب ، أن يحتفلوا بذكرى المولد النبوى الشريف ، ويعدوها مصدر عزهم ، ومنبع مجدهم ورفاهيتهم ، فإن على العالم أجمع أن يطرب لهذه الذكرى الكريمة ، ويقابلها بما تستحق من إجلال وإعظام ، لأن الحياة طابت حقاً برسالة النبى العربى ، وغدا الإنسان إنسانا يشعر بكرامته . فى قلبه طمأنينة ، وفى نفسه رضا ، وفى روحه شعور جديد بالكون وخالقه ، وإمام الأنبياء ، وحاكمها العادل ، وسيدها المطاع ، ورئيسها الأمين المأمون ، ورحمة الله للناس أجمعين .

هكذا تكون الذكريات العاطرات ، وهكذا تتجدد على مر السنين والأعوام والشهور والأيام ، وستبقى ذكرى الرسول الأعظم قوية كالبحر ، ودائمة دوام السموات والأرض . فقد ولدت بمولده الطاهر مبادئ و نظريات ، وفلسفات وحضارات ، لم ير لها العالم مثيلا من قبل . ولن ير لها مثيلا من بعد ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد كشف الغطاء عن أعين الشعوب العربية . فلم تعد تطيق اليوم ماكانت تحتمله بالأمس ، من ذل واستعباد ، وأدركت ماجنته من وراء التفرق والاختلاف ، والبعد عن سنة الله وهدى رسوله ، وتطلعت إلى ماكان لأسلافها . من مجد باذخ ، فحنت إليه ، وتوثبت لإحيائه . وفى الجو بارقة من الأمل ، وحسبنا مانراه اليوم من جهود رجال الثورة الأبطال ، وعقلاء الأمة فى كل مكان ، فى توحيد كلمة العرب ، وجمع صفوفهم ، ورفعة شأنهم . وما شاهدناه اليوم - ولا نزال نشاهده - من صراع بين الشرق والغرب ، وما قررته الجمعية العامة للأمم المتحدة من الموافقة الإجماعية على مشروع الدول العربية ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وما قام به أهل العراق الأحرار ، وجيشهم الباسل لاستعادة مجد البلاد المسلوب ، وتطهيرها من الاستعمار وأعوانه ، وما نعرفه من موقف اليمن المشرف ، وأهل محميات عدن ، وثورة أبطال الجزائر المغاوير ، كل ذلك يجعلنا نوقن بأن الفلك قد استدار ، وأن الطريق قد استبصر ، وأن الفجر قد لاح ، وأن العقل قد اهتدى ، وأن دين الإسلام الأغر الميمون ، الذى أنقذ الخليقة منذ قرون ، من ضلال كسرى ، وغى قيصر ، حرى أن يخلصها اليوم ، من مطامع الصهيونيين وبغى المستعمرين .

وأضرع إلى الله عز شأنه أن يكتب لهذا الدين العظيم الذيوع والانتشار ، وللشعوب العربية نصراً مؤزراً ، وللمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها عزاً ومجداً ، وسعادة ورفاهية ، وللعالم أجمع سلاما شاملا ، أساسه العدل ، وقوامه الرحمة .

أحمد على منصور

أستاذ البلاغة والأدب بمعهد شبين الكوم

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

بناء المجد

نبى البر بينه سبيلا ... وسن خلاله وهدى الشعابا
تفرق بين عيسى الناس فيه ... فلما جاء كان لهم متابا
وكان بيانه للهدى سبيلا ... وكانت خيله للحق غابا
وعلمنا بناء المجد حتى ... أخذنا إمرة الأرض اغتصابا
وما نيل المطالب بالتمنى ... ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال ... إذا الإقدام كان لهم ركابا

شوقى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ميلاد الخير للانسانية

من نظر إلى العالم كله نظرة فاحصة مدققة شاملة ، قبيل ميلاد محمد عليه السلام وقبل بعثته رأى أحواله مضطربة غاية الاضطراب ، وأنظمته مختلة أشد اختلال ، وقواعده منهارة انهياراً عظيما يؤذن تبعاً لسنة الحياة بمغيب شمس عصر مظلم دامس ، وطلوع فجر مشرق وضاء الجبين ، ينير للناس سبيل حياتهم ، ويحفظ عليهم أنظمتهم .

فنظرة إلى العقائد والملل والنحل المنحلة والعادات المنكرة وعبادة الأوثان الشائعة المتكاثرة ، فقد عبد الشجر والحجر واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، وتناحرت النصرانية واليهودية وانطمست معالمهما وأصابهما تحريف وتبديل على أيدى رجال الدين الذين اتخذوا العقيدة وسيلة لإرضاء الشهوات والأطماع والنزوات ، حتى لقد بلغ بالبعض منهم الصلف والكبرياء والعظمة أن جعل نفسه حارساً على أبواب الجنة يدخل من شاء فيها ويحرم من شاء .

وعلى هذا النحو من الضعف فى العقيدة وفى نظام الاجتماع وفى الأخلاق كانت الإنسانية قبل ميلاد محمد عليه السلام. واشتكى الوجود إلى ربه طالبا منه أن يخرج العالم من الظلمات إلى النور ، فأجيبت دعوته ، وبعث الله فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين .

وهكذا جرت الحكمة الإلهية فى تنظيم هذا الوجود وعمارة هذا الكون على أن لا يترك الناس سدى يهيمون على وجوههم بدون مرشد . بل لا بد أن يرسل الناس الفينة بعد الفينة رسولا يبين الطريق المستقيم والصراط السوى ، لذلك اصطفى الله من بين عباده رسلا مبشرين ومنذرين يرسلهم الواحد يقفو الآخر سراجاً منيراً ونذيراً وبشيرا .

وما كانت البشرية فى تاريخها الطويل المديد أشد احتياجاً إلى الرسول مثل ما كانت قبيل مبعث محمد عليه السلام ، ومن سنة الله تعالى أن يختار رسله ممن طهرت نفوسهم وصلبت أعوادهم وكانوا أهل كفاح وجلد ومصابرة واحتمال ، وأهل جد وعمل .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولقد اختار محمداً عليه السلام من أشرف أنساب العرب وأرفع قبائلها ، فقد قال عليه السلام « بعثت من خير قرون بنى آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذى كنت فيه » ، ويقول عليه السلام « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدى لواء الحمد ولا فخر » وفوق هذا يقول عليه السلام « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » .

ولا فخر يعلو فخر من كانت أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فقبيلتها شامة من شامات العرب ، ومن كان أبوه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الذى عرف حجيج مكة فضله وما كان يقوم به من خدمة للحجيج وإطعامهم وإستمائهم ، وأى نسب فى العرب يعلو هذا النسب أو يدانيه ، والصادق الصدوق خاتم الرسل يقول « ولدت من نكاح ولم أولد من سفاح » .

ولقد كانت كل حقبة من حياة محمد عليه السلام ممتازة بعمل جليل خطير غير عادى ولا مألوف فى حياة الناس ، فقد سارع اليتم إليه وهو جنين فى بطن أمه قبل أن تدب فيه الحياة أو تنفخ فيه الروح ، إذ أن والده بعد أن تزوج آمنة وحملت به سافر بعد حمله بقليل إلى الشام فى تجارة له فأدركته الوفاة بالمدينة أثناء رجوعه فدفن بها عند أخواله بنى عدى ابن النجار ، وكان ذلك بعد شهرين من حمل أمه به عليه السلام ، وإذا ما تركنا هذه المأساة الموجعة الأليمة التى أصابت هذا الجنين وانتقلنا إلى أيام إرضاعه بعد الولادة رأينا الأمور الغريبة والأحوال العجيبة التى أحاطت به ، رأينا المراضع يأتين من البادية ليأخذن أطفال أشراف العرب يرضعنهم فى البادية ذات الهواء الطلق والآفاق الفسيحة ، ليتربوا على النجابة والشهامة وقوة العزيمة والبنية القوية والأخلاق الطاهرة ، ولم يرق لواحدة منهن أن تأخذ هذا اليتيم لشدة فاقة أهله وما هم عليه من خفض العيش ورقة الحال ، وبعد تردد من حليمة بنت أبى ذؤيب وخوفها من الرجوع بدون طفل ترضعه تراودت مع زوجها أبى كبشة فى أخذه ، وأخيراً أخذته مكرهة تحت ضغط الملابسات التى ألمت بها ورجعت به إلى البادية ، وقد أرسل الله عليها وعلى زوجها الخير مدراراً وجاءتهما البركة فى الضرع تسعى ، وبعد انتقاله من دور الرضاعة إلى دور الصبا لم تطل متعته بحنان الأمومة الذى بقى له ، ولم تمهله الأيام طويلا بل ضاعفت عليه اليتم وضاعفت عليه الرزء وهو لا يزال عاجزا عن كسب قوته ، فلم تمض على ولادته سوى سنوات ست حتى حرم من عطف الأمومة كما حرم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قبل ذلك من رعاية الأبوة وفى مألوف العادة وسنة الحياة الواقعية أن يكون اليتم المبكر المزدوج سببا من أسباب الضعف والانحلال والإهمال لليتيم ، ولكن محمداً عليه السلام قد كان على عكس ذلك وعلى خلاف تلك السنة والعادة ، فقد كان يتمه سببا فى نجابته وفى نبوغه وفى قوته وحزمه وعزمه فقد حفظته العناية الإلهية وأمدته بألطاف خفية وأعدته لحمل رسالة للإنسانية : فيها الرحمة وفيها الرأفة ، فهاهو ينتقل بعد موت أمه إلى كفالة جده عبد المطلب ، ثم إلى كفالة عمه أبى طالب دراكا وتظهر عليه مخايل الذكاء المبكر والعبقرية النادرة الفذة فهو يسافر للتجارة مع عمه أبى طالب إلى الشام وسنه فى الثانية عشرة ، فيكتسب من تلك السفرة خبرة واسعة فى التجارة تمكن له من أن يسافر بعد ذلك للتجارة فى مال خديجة بنت خويلد التى صارت زوجا له فيما بعد .

وقد أصبح محمد عليه السلام بين أهل مكة علما خفاقا معروفا بين قومه وعشيرته بسداد الرأى والحكمة والعفاف والصدق والأمانة ، واكتملت رجولته ونضج عقله وبلغ أشده فى سن مبكرة لم يعرف العرب لها ضريبا من قبل ، فاستدعى ذلك أنظارهم واستلب تفكيرهم واسترعى انتباههم ، فها هم يرتضونه حكما فيما بينهم يخضعون لرأيه ويذعنون لمشيئته عند المشورة وعند النصح ، فحينما اختلفت قريش فى وضع الحجر الأسود فى موضعه عند تجديد بناء الكعبة قبل الإسلام اتفق رأيهم على تحكيم أول قادم من باب الصفا فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فارتاحوا له جميعا لما يعهدونه من أمانته وحكمته وصدقه وإخلاصه للحق وقالوا : هذا هو الأمين رضيناه ، هذا محمد فلما وصل إليهم وأخبروه الخبر بسط رداءه وتناول الحجر فوضعه فيه بيده ثم قال : ليأخذ كبير كل قبيلة بطرف من الرداء ثم ارفعوه جميعا ، ففعلوا ، حتى وصلوا به إلى موضعه فوضعه فيه بيده ، وبذلك انحسم النزاع الذى كاد يؤدى إلى حرب شعواء تأكل الأخضر واليابس وتفنى من العرب أبطالا وصناديد كثيرة .

ولما بلغ عليه السلام سن الأربعين نزل عليه جبريل الأمين يبلغه رسالة ربه ، فقام بالدعوة سراً ثلاث سنوات ، اتبع دعوته فيها السابقون الأولون إلى الإسلام الذين استنارت بصائرهم وأشرقت فى قلوبهم دعوة التوحيد ، ثم نزل عليه قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » . فجهر بالدعوة واستعد لملاقاة الخطوب والأهوال ، ولقد عبر عن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية
ميلاد الخير للإنسانية

ذلك أصدق تعبير إذ قالت له زوجه خديجة فى وقت من الأوقات : نم قليلا ، فقال لها « قد انقضى زمن النوم يا خديجة ، حقا لم يبق إلا الجد والعمل والمجالدة والنزال بين الحق والباطل وبين الخير والشر وبين عبادة الأوثان وعبادة الواحد الديان ، وما زال عليه السلام يجد ويجتهد فى الدعوة إلى توحيد الله تعالى وترك عبادة الأوثان ونبذ ما عليه أهل الجاهلية .

وظل ينافح ويكافح ويجاهد ويجالد حتى أتم رسالته بعد أن لاقى العذاب ألوانا والمعارضة والمكابرة والعناد من أهل مكة وأهل الطائف على السواء ، ولقد كانت شجاعته عليه السلام فوق ما كانت عليه الشجاعة العادية إذ وصفه أحد أصحابه فقال « كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، وما لنا نذهب بعيداً والواقع يملى علينا براهين قاطعة وحججا دامغة ، فها هى رباعيته تكسر وها هو المغفر تدخل حلقاته فى وجنتى الرسول عليه السلام ولا يفت ذلك فى عضده ، فينهض محرضا للمسلمين على القتال والوقوف فى وجه العدو ، دون وهن أو ضعف أو خور فكان بجعل من مواقف الهزيمة انتصاراً له وظفرا بعدوه ، فأنت تراه فى غزوة أحد فى السنة الثالثة من الهجرة بعد أن خالف الرماة فيها أمر النبى عليه السلام وتركوا الموضع الذى وضعهم فيه فوق الجبل لحماية ظهر الجيش وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم نصرنا أو هزمنا ، فلما رأوا فرار المشركين ترك أكثرهم مكانه متأولا أمر الرسول عليه السلام بأن الغاية منه العمل على نصر المسلمين وقد تم النصر بفرار المشركين ، فكر المشركون عليهم وكادت الدائرة تدور على المسلمين إبادة وإفناءاً لهم لولا حكمة الرسول عليه السلام وبراعته الحربية الفذة التى جعلت العاقبة للمسلمين فيما بعد : نصرا لهم واستردادا لهيبتهم وعزتهم ، وأشد من ذلك عجبا ما صنعه الرسول عليه السلام فى غزوة الحديبية فى السنة السادسة من الهجرة التى انتهت صلحا على أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين أربع سنوات ، ومن جاء من المسلمين إلى قريش كافرا قبلوه ومن جاء من قريش إلى المسلمين مؤمنا ردوه ، وأن يرجع الرسول فى عامه هذا بدون عمرة ثم يأتى فى العام القابل لأدائها ، ومن أراد أن يدخل فى حلف قريش دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل فى حلف محمد دخل فيه .

ولقد اعترض كثير من الصحابة على بعض هذه المبادئ فقالوا : كيف نرد إلى قريش من جاءنا مسلما وهم لا يردون من جاءهم منا كافرا ؟ فقال الرسول عليه السلام قول الحكمة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والإحاطة ببواطن الأمور - أما من ذهب إليهم كافرا فقد أبعده الله ، ومن جاءنا مسلما فسوف يجعل الله له فرجاً . وهكذا كان صلح الحديبية فتحا مبينا للإسلام .

ولئن كان ميلاد محمد عليه السلام باعثا للذكرى العزيزة الحبيبة إلى قلوب من يعرفون الحق ويعرفون العدل ، فالجدير بنا أن نحرص كل الحرص على اتباع القواعد والأسس التي تركها فينا وجاء بها ، فقد دعا إلى العدل وبدأ بتنفيذه على نفسه وأهله ثم على القريب والبعيد والعدو والصديق إذ يقول لمن أراد أن يشفع في حد من حدود الله « والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ثم يقول « لقد أهلك من كان قبلكم من الأمم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الوضيع أقاموا عليه الحد » ويكفينا أن ندلل على أن العدل ركيزة لإصلاح الحياة فنذكر قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » ولقد طلب محمد عليه السلام من المؤمنين المساواة إذ يقول « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، كلكم لآدم وآدم من تراب » فليت الذكريات الإسلامية وذكرى ميلاد محمد عليه السلام وهجرته تبعث فينا روح الاقتداء والاهتداء بهديه والسير على سنته والتخلق بأخلاقه حتى نحقق فينا قول الله تعالى « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » .

وإنا لنرفع أكف الضراعة إلى المولى القدير أن يعيد علينا هذه الذكرى العزيزة الحبيبة والمسلمون والعرب أشد وحدة وأصلب قناة وأقوى عوداً مما هم عليه الآن ؛ حتى يدركوا مايدبره لهم المستعمر من مكر وخديعة ويعملوا على تقويض أركان الاستعمار إنه قوى عزيز .

عبد الله مصطفى المراغى

مولد الهادى

تجلى مولد الهادى وعمت بشائره البوادى والقصابا
وأسدت للبرية بنت وهب يدا بيضاء طوقت الرقابا
لقد وضعته وهاجا منيرا كما تلد السماوات الشهابا
فقام على سماء البيت نورا يضيء جبال مكة والشعابا

شوقى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مفتاح الشقاء

أذاعت « روتر » شركة الأنباء المعروفة خبرا لعل الكثيرين لم يقفوا عنده ولم يحفلوا به ، مع أن له قيمته ودلالته . وهو أن سكان قرية هندية تسمى « كودولى » وضعوا قانونا للقضاء على الخمر ، وهو يقضى على شارب الخمر بأن يحلق له أهل القرية نصف شاربه ، ثم يركبوه حمارا ويطوفوا به فى أزقة القرية وحاراتها ، لإعلان فضيحته والسخرية به ، ثم يغرموه خمس عشرة روبية بعد هذه الفضيحة . ومنذ قليل نشرت صحيفة « برافدا » الروسية أن غرامة ستوقع على كل من يضبط مخمورا أو مقامرا . . . ومنذ حين نشرت الصحف أن أكثر من ستين فى المائة من الطيارين الأمريكيين يشكون اضطرابات عصبية ، بسبب الإفراط فى المسكرات ، والإسراف فى لعب القمار ، وبسبب الانحرافات الجنسية ! ! . . .

ذكرتنا هذه الأنباء بعلة مستعصية من علتنا ، وهى علة انتشار الخمور فى بلادنا ، واعتياد الكثيرين من المتحللين والمترفين تناولها جهرا أو سرا ، وتلطخ الكثير من الحفلات والسهرات فى الأفراح والملاهى والأندية الليلة الخبيثة بالخمر على اختلاف الأنواع والألوان ، وهناك مع الأسف من يصرح بأن المخدرات كالحشيش والأفيون هى التى يجب أن تقاوم وتحارب ، وتبذل فى محاربتها الجهود وتجند الجنود ، وأما الخمر فلا خوف منها ولا خطورة بل هناك من يقترح محاربة المخدرات بنشر شرب الخمر ، أو شرب نوع منها ، ولسنا ندرى ماذا نصنع لو أخذنا بهذا الاقتراح العجيب . . . إننا ندلل للناس على حرمة هذه المخدرات بأنها تشبه الخمر فى أنها تسكر أو تفتر ، فكيف ندلل لهم على هذه الحرمة إذا صارت الخمر وهى أم التحريم فى الباب مباحة منشورة ؟ ! . . .

ومن أعجب العجب أن بعض هؤلاء يفترون على الله الكذب وهم يعلمون ، فيقولون : إن القرآن لم يصرح بتحريم الخمر ، مع أن ربكم وخالقكم هو الذى يقول : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ، وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والخمور بمختلف أنواعها المسكرة المذهبة للرشد والعقل - حرام حرام بنص القرآن والسنة والإجماع ، ولو لم يحرمها الدين لحرمها العقل ؛ وإنما حرم الإسلام الخمر لما فيها من أخطار وأضرار ، وقد أراد من وراء تحريمها حفظ الأموال لأنها تتبدد فى الخمر بسفه وجنون ، وحفظ الأجسام لأن الخمر تهدمها وتقوضها وتصيبها بوبيل الأمراض والعلل كضغط الدم والشلل وتحلل الأعصاب وفقد الوعى وتلف الكبد ، وحفظ العقول لأن الخمر تذهب بها وتسبب لمدمنها الخبال والضلال ، وحفظ الأعراض لأن من سكر انفلت منه القياد فكان حيوانا أو كالحيوان ، ولقد رووا أن عجوزا من الأعراب جلست إلى فتيان يشربون نبيذا لهم فسقوها قدحاً فطابت نفسها وتبسمت ، ثم سقوها قدحاً ثانيا فاحمر وجهها وضحكت ، فسقوها قدحاً ثالثا فقالت : خبرونى عن نسائكم ، أيشربن من هذا الشراب ؟ . قالوا لها : نعم . فقالت : زنين ورب الكعبة ! . . .

ومن لؤم الذين يشربون الخمر جهاراً أو من وراء ستار أنهم يخادعون الله وهو خادعهم، فيوهمون الناس أن الأصناف التى يشربونها اليوم ليست هى الأصناف التى حرمها الإسلام ، لأن الإسلام لم يذكر تحريم « الويسكى والكونياك والشمبانيا » وأشباهها من الأسماء التى لم تكن موجودة فى صدر الإسلام ؛ ولكن رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام يحدثنا عن هذا الاحتيال الذى وقع بعد عهده بأجيال فيقول : « ليشربن أناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها » . ثم وضع لنا قاعدة التحريم فى هذا الباب ، فقال فى الحديث الصحيح : « كل شراب أسكر فهو حرام » ، وقال : « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام » . وقال عمر بن الخطاب من فوق منبر الرسول صلوات الله عليه : « الخمر ما خامر العقل » أى غطاه وستره ، فيدخل فيه جميع أنواع الخمر بمختلف أسمائها وألوانها وأشكالها . . .

ومن لؤمهم كذلك أن يقولوا : إن « النبيذ » حلال ، وقد أباحه بعض الفقهاء . وهذا تضليل وتحريف ؛ لأن النبيذ المذكور فى كتب السيرة الإسلامية هو نقيع التمر والزبيب الذى لا إسكار فيه ، فهو يشبه « الخشاف » المعروف اليوم . وعن أنس رضى الله عنه قال : سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدحى هذا الشراب كله : العسل والنبيذ والماء واللبن . . . فهل يعقل أن يشرب نبى الطاهرين المطهرين شراباً مسكراً أو فيه شبهة إسكار ؟ ! . . .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهـذا هو الحاكم العادل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه يرى أن طائفة من المنحرفين يشربون نوعا من الخمر يسمونه « الطلاء » والطلاء جنس من الشراب كأنه ثخن حتى صار كالقطران الذى تطلى به الإبل ، فحارب عمر ذلك الانحراف محاربة صارمة ، وكتب إلى ولاته وعماله كتاباً مطولا جاء فيه قوله : « ثم إن الطلاء لا خير فيه للمسلمين ، إنما هو الخمر يكنى باسم الطلاء . قد جعل الله عنه مندوحة وأشربة كثيرة طيبة ، وقد علمت أن ناسا يقولون : قد أحله عمر رضى الله عنه ، وشربه ناس ممن مضى من خيارنا ، وإن عمر إنما أتى منه بشراب طبخ حتى خثر (أى استرخى) فقال حين أتى به أطلاء هذا ؟ . يعنى به طلاء الإبل ، فلما ذاقه قال : لا بأس بهذا . فأدخل الناس فيه بعد عمر . . . أما من شربه من صالحيكم فإنهم شربوه قبل أن يتخذ مسكراً ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حرام كل مسكر على كل مؤمن ، فلا أرى أن يتخذ الفاجر البار دلسة (أى خداعا وتضليلا) ونرى أن يتنزه المسلمون عنه عامة ، وأن يحرموه ، فإنه من أجمع الأبواب للخطايا . وأخوفها عندى أن تصيب المسلمين منه جائحة تعمهم » ! . . .

ويكتب عمر إلى أيوب بن شرحبيل واليه على مصر خطابا فى الخمر منه قوله : « ثم إنه قد كان من أمر هذا الشراب أمر ساءت فيه رعة (أى ملاحظة) كثير من الناس ، وجمعوا مما يغشون به مما حرم الله فيه حراما كثيراً نهوا عنه عند سفه أحلامهم وذهاب عقولهم ؛ حتى استحل فى ذلك الدم الحرام ، وأكل المال الحرام ، والفرج الحرام ، وقد أصبح كل من يصيب من ذلك الشراب إنما علتهم فيه يقولون : الطلاء لا بأس علينا فى شربه ، ولعمرى إن ما قرب إلى الخمر فى مطعم أو مشرب أو غير ذلك ليتقى ، وما يشرب أولئك شرابهم الذى يستحلون إلا من تحت أيدى النهار الذين يهون عليهم زيغ المسلمين فى دينهم ، ودخولهم فيما لا يحل لهم ، مع الذى يجمع نفاق سلعهم ، ويسارة المئونة عليهم ؛ وما لأحد من المسلمين عذر أن يشرب ما أشبه ما لا خير فيه من الشراب ، فإن الله جعل عنه غنى وسعة من الماء الفرات ، ومن الأشربة التى ليس فى الأنفس منها حاجة من العسل واللبن والسويق والنبيذ والزبيب والتمر » .

ثم يقول عمر : « فإنا من نجده يشرب منه شيئاً بعد تقدمنا إليه فيه نوجعه عقوبة فى ماله ونفسه ، ونجعله نكالا لغيره ، ومن يستخف بذلك منا فإن الله أشد عقوبة ، وأشد بأساً ، وأشد تنكيلا » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ثم يختم الكتاب بقوله : « أسأل الله أن يغنينا وإياكم بما أحل عما حرم ، وأن يزيد من كان فينا مهتدياً هدى ورشداً ، وأن يراجع بالمسيء التوبة فى عافية ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

ومن لؤمهم أيضاً أنهم يتعللون فى شربها بأنها دواء لمرض أو علاج لعلة . وهذا مكر يمكرونه بين الناس ، لأنهم يشربونها للسكر والإدمان ، ولمآربهم الخسيسة الأخرى ؛ وعلماء الطب لم يدعوا حالة من حالات المرض يستعمل فيها دواء مسكر إلا جعلوا مكانه دواء ليس مسكراً ، وفوق هذا سئل الرسول صلوات الله عليه عن التداوى بالخمر فأجاب : إنها داء وليست بدواء ! ! ...

ولما كانت الخمر بهذه الخطورة الخبيثة حذر الرسول منها أبلغ التحذير فقال فيما ينسب إليه : « اجتنبوا الخمر فإنه والله لايجتمع (١) والإيمان أبداً إلا يوشك أحدهما أن يخرج صاحبه » . ولا عجب فالخمر أم الخبائث ومفتاح الشرور وباب البلايا ؛ ولقد قص علينا بعض كتب السنة قصة فيها عظة وبلاغ ، وخلاصتها أن رجلا استدرجته امرأة فاجرة ، وغلقت عليه الأبواب ، وكأنها أرهبته حين خيرته بين أمور ثلاثة : أن يشرب كأسا من خمر كان عندها ، أو يقتل غلاما كان معها ، أو يزنى بها . . . وكأنما أراد الرجل أن يختار فى ظنه أخف الأمور ، فشرب من الخمر ، فلما دارت برأسه زين له الشيطان أن يواقع المرأة فأقدم على ذلك ، وكأنما خاف من الغلام أو ضاق به فقتله ؛ فكانت الخمر سبباً فى شر عظيم وبلاء مستطير . . .

ولذلك لايشرب الخمر إلا من ضل ضلاله وساء حاله ، وكأن هذا بعض السبب فى أن السنة المطهرة تخبرنا بأن شارب الخمر كان يجلد أربعين ، وكان الجلد بالنعال فى كثير من الأحيان ... نعم بالنعال ، لأن المرء الذى أهدر آدميته وأذهب عقله لايستحق إلا الحذاء يصفع به ويجلد ليتأدب ويرتدع ، وشتان بين إنسان يحافظ على عقله وكرامته وبين حشرة تأبى إلا إهلاك نفسها أو سواها :

إن عادت العقرب عدنا لها ... بالنعل ، والنعل لها أنسب !

---

(١) فى كتب اللغة أن الخمر قد تذكر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهناك من يرى أن مقاومة الخمر ومهاجمتها الآن لون من الرجعية والجمود ؛ لأن الخمر قد ذاعت وانتشرت ، وأصبح من العبث الوقوف فى وجهها ، وهذا منطق غريب ! مقتضاه أن النار إذا زادت فى الاشتعال تركناها حتى تأتى على الأخضر واليابس ! . . . وما هكذا كان المصلحون ، ولا الذين يغارون على الفضائل والأخلاق ، فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه نراه حينما شاهد أن عدد الذين ينحرفون فيشربون الخمر قد زاد عما كان عليه فى عهد النبوة يضاعف حد الشارب ، فيزيده من أربعين جلدة إلى ثمانين ؛ لأن التوسع فى الجرم يستلزم التشديد فى الجزاء والعقاب .

إن الله جل جلاله قد خلق لنا الحلو اللذيذ الطيب الحلال الطاهر من ألوان الشراب ، خلق اللبن الذى يخرجه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ، وخلق العسل الذى يخرجه من بطون النحل شراباً مختلفاً ألوانه فيه شفاء للناس ، وخلق الماء العذب الفرات الذى يروى ويمتع ، وخلق عصير الفواكه وما أكثرها وأكثر منافعها وخصائصها . .

ولقد كان النبى صلوات الله عليه يدخل بستان « بيرحاء » لأبى طلحة بجوار المسجد النبوى ، ويشرب من ماء فيه طيب كأنه يحبه ويتلذذ به ، وكان الماء العذب يجلب للنبى من عين تسمى « بيوت السقيا » على يومين من المدينة ، وقيل إنها قرية بين مكة والمدينة ، فأين هذا الهدى النبوى القويم من ولوع الإنسان اليوم بإفساد الصالح وتعويج المستقيم وتعقيد السهل ؟ . . . كان الطعام لسد الجوعة فجعله للتخمة والبطنة ، فتعددت ألوان الأكل ، فكثرت الأمراض وتعددت العلل ؛ وكان الشراب للرى ودفع الظمأ ، فاصطنع الإنسان ألوانا منه لقتل العقل وإثارة الشهوة . وكانت الثياب لستر العورة فجعلها الرجل للزينة الزائدة والفخر الكاذب . وجعلتها المرأة كمصايد للشيطان . . . فأى شقاء جره الإنسان على نفسه بسبب هذا الانحراف وذلك الإسراف ؟ ! . . .

إن واجبنا أن نقطع الطريق على أم الخبائث ، وأن نبعدها عن مجتمعنا وعن ذرياتنا التى تتوزعها مناكب الحياة ، وأن نأخذ بهدى الإسلام فلا نقربها ولا نرضى بها ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حصوننا مهددة من داخلها
فى الجامعة العربية

— ٤ —

بقى مما وعدت بالكلام عنه من النشاط الثقافى لجامعة الدول العربية الكلام عن المؤتمرات التى أعدت لها الإدارة الثقافية وأشرفت عليها أو شاركت فيها . وحديث المؤتمرات فى هذه الإدارة حديث يثير العجب . فلو عرض القارئ ما سجلته هذه الإدارة من نشاط المؤتمرات تحت عنوان (التعاون بين الإدارة الثقافية واليونسكو والهيئات الثقافية الدولية ـ ص ٤٥ ـ ٥٣ من النشرة الثقافية ١٩٤٦ ـ ١٩٥٦) لخيل إليه أن هذه الإدارة فرع من اليونسكو يعمل تحت سيطرته وتوجيهه . وسيطرة أمريكا ـ واليهود خاصة ـ على اليونسكو شىء لا أحتاج إلى أن أنبه له فهو مشهور معروف ، يؤكده ما أثبتته النشرة الثقافية لجامعة الدولة العربية فى بيانها العام عن هذه المؤتمرات . فهى تستهدف السيطرة على توجيه الثقافة والتعليم فى البلاد العربية ، والترويج لآراء اجتماعية ومذاهب سياسية لا تخدم إلا مشاريع اليهود والغرب . فمن ذلك مؤتمر تبادل المدرسين بين البلاد العربية الذى انعقد فى القاهرة سنة ١٩٥٦ بدعوة من اليونسكو (ص ٤٦) . ومؤتمر التعليم الثانوى فى مصر الذى انعقد فى مصر سنة ١٩٥٥ واشتركت فى الدعوة إليه الجامعة الأمريكية بالقاهرة (ص ٤٩) والحلقة التربوية التى دعت إليها الجامعة الأمريكية فى بيروت سنة ١٩٥٤ وكان موضوعها « فلسفة تربوية متحدة فى عالم عربى متحد » (ص ٥٠) . وحلقة دراسات التربية للتفاهم العالمى التى انعقدت فى قصر اليونسكو ببيروت سنة ١٩٥٥ ورأسها عبد العزيز القوصى (ص ٥٠) فمثل هذه المؤتمرات لا يقصد بها إلا السيطرة على التعليم فى العالم العربى ، وتوجيهه وجهة لا دينية تؤدى إلى ضياع الجيل القائم والجيل القادم ضياعا لا تقوم معه نهضة فى هذه المنطقة ! مما يمكن لليهود ولشيعتهم الذين يتولونهم من دول الاستعباد الغربى والأمريكان منهم خاصة ، وذلك بترويج بعض الآراء والأساليب التربوية والنفسية المنحرفة الفاسدة . ومن هذه المؤتمرات ما يروج لأساليب أمريكية من التنظيم الاجتماعى تخفى فى ثناياها مذاهب فكرية هدامة باسم العلم الحديث من ورائها اليهودية العالمية ، مثل مؤتمر العلوم الاجتماعية الذى انعقد فى دمشق سنة ١٩٥٤ بدعوة من اليونسكو لدراسة الشئون الاجتماعية بالشرق الأوسط

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(ص ٤٨) . فقد عنى هذا المؤتمر عناية شديدة بالترويج لما يسمونه (علم الاجتماع) ووضع تعاليمه وأوهامه فى مكان التقديس الذى كان يحظى به الدين ، وإسلام المجتمع برمته إلى نفر من الناس لا يمت للثقافة الإسلامية أو العربية بسبب ، يقدس تلك الأوهام التى تشيع فيها سموم اليهودية العالمية الهدامة ويتخذها دستوراً ، ولا يعرف أصولا يصدر عنها فى تفكيره وتشريعه سوى دعاواها . فخ على تأليف الكتب المدرسية فيها وروج لأصحاب هذه الثقافات التى يتسع فيها المجال أمام ذوى الأغراض والهدامين ، بالدعوة إلى (تأمين العمل للإخصائيين فى الشئون الاجتماعية ، وضمان مستقبلهم المادى والأدبى) . كما عمل على حماية الهدم والهدامين من كل صوت يرتفع للحد من نشاطهم الهدام باسم الدين فى دعوته إلى (تأمين حرية الدرس والبحث والتفكير والتأليف فى الشئون الاجتماعية) . ومن هذه المؤتمرات ما يتستر تحت اسم العلم والبحث ، ولكنه لا يبحث المسائل فى حقيقة الأمر إلا من زاوية تخدم اليهود خاصة . مثل الكلام عن (موقف الإسلام من العنصرية ـ ص ٤٥) . ومنها ما يدعم مشروعات الغرب السياسية مثل مؤتمر التضامن الثقافى والاقتصادى بين دول البحر الأبيض المتوسط الذى انعقد فى باليرمو سنة ١٩٥٤ . فالهدف الحقيقى من ورائه هو إقرار النفوذ الغربى فى حوض هذا البحر ، وربط دوله العربية بدول الاستعباد الغربية . فكل الذين يتحدثون عن رابطة البحر الأبيض وثقافة البحر الأبيض وحضارة البحر الأبيض ـ من طه حسين فنازلا ـ كانوا يروجون لمشاريع فرنسا التى تعتبر شمال إفريقية جزءاً لا يتجزأ منها . وقد زاحمتها إيطاليا وأسبانيا حينا ، ثم ورثتهم أمريكا جميعاً . فالكلام فى هذا لا يقصد به إلا صرف العرب عن جامعتهم العربية وصبغتهم الإسلامية . وأى رابطة بين فرنسا والمغرب سوى الدم المسفوك ؟ وأى رابطة بين إيطاليا وطرابلس ، وبين أسبانيا وريف مراكش ، سوى ما يحفظه التاريخ من مظالمهم ومفاسدهم وما سفكوه من دماء الشهداء ؟ هل نسى العرب عمر المختار الشهيد ؟ .

وأدع ذلك كله مما لا سبيل إلى الخوض فى تفاصيله ؛ لأنى لا أجد بين يدى نصوص ما دار فى هذه المؤتمرات من مناقشات ، لأنتقل إلى الكلام عن مؤتمر نشرت الجامعة العربية محاضر جلساته ، وهو مؤتمر يتوسم القارئ الخير فى عنوانه ولا يكاد يخطر له سوء الظن فيه ببال ، وذلك هو (المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية ـ دمشق ١٩٥٦) .

اجتمع فى هذا المؤتمر مندوبون من المجامع اللغوية العلمية فى مختلف بلاد العرب : فشهده

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وفد من مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، ووفد من المجمع العلمى العراقى ، ووفد من المجمع العلمى العربى فى دمشق ، كما شهده مراقبون من الدول العربية التى لم يؤسس فيها مجامع وهى الأردن والسعودية ولبنان وليبيا وتونس . وشهده مع ذلك كله وفد يمثل الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، ومندوب يمثل هيئة اليونسكو (شفيق شماس) .

واللغة العربية التى بحث هذا المؤتمر شئونها هى أقوى ما تقوم عليه الوحدة العربية من الروابط ، وهى الرابطة التى ارتفعت حتى الآن فوق كل مراء : فقد مارى أعداء العروبة زمنا فى أن العرب ينتمون إلى جنس واحد ، فسمعنا أصوات المنكرين من الشعوبيين دعاة الجاهلية الأولى بين فرعونية وفينيقية وآشورية وبابلية . ومارووا حينا فى ارتباط القومية العربية بالإسلام فسمعنا من يزعم أن هذه الصبغة تنفر غير المسلمين من العرب . وظلت رابطة اللغة بعد ذلك تسمو على كل مراء لا ينازع منازع فى أنها هى الرباط الأقوى بين العرب .

لذلك كان آخر ما يتوقعه القارئ فى الكتاب الذى جمع ما ألقى فى هذا المؤتمر من بحوث أن يجد فيه ما يعين على توهين هذه الرابطة ، أو تفريق المجتمعين عليها ، من مثل الدعوات المريبة الهدامة إلى مسخ اللغة الفصحى أو تبديل قواعدها وخطها .

ولكن واقع الأمر جاء مختلفا عما يتوقعه القارئ وما يرجوه . فامتلأ الكتاب فى مواضع مختلفة بالدعوة إلى العامية ، وإلى تبديل الخط العربى ، وقواعد النحو والصرف والبلاغة . إذا أعوزك أن تجد ذلك ساغرا صريحا فستجده مستورا خفيا يلبس زى الناصح الغيور ، فى مثل مقال أحمد حسن الزيات عضو مجمع القاهرة عن (مجمع اللغة العربية بين الفصحى والعامية : ص ٨١ — ٨٨) ، ومقال على حسن عودة مندوب الأردن (بين اللغة العربية الفصحى والعامية : ١٨١ — ١٨٤) ، ومقال أحمد عبد السلام مندوب تونس (الفصحى والعامية : ٢٠٢ — ٢١١) ، ومحاضرة منير العجلانى عضو مجمع دمشق عن (أثر اللغة فى وحدة الأمة : ٢١٧ — ٢٢٧) ، واقتراح إبراهيم مصطفى فى (كتابة الهمزة والألف اللينة : ١٦٠ — ١٦٥) ، ومقاله عن (تيسير قواعد اللغة العربية : ١٦٦ — ١٧١) ، ومقال طه حسين مدير الإدارة الثقافية عن (تيسير القواعد فى اللغة : ٢٢٨ — ٢٤٠) . ولم يشذ عن هؤلاء إلا صوت واحد بدا وسط هؤلاء غريبا فى دعوته إلى التزام الفصحى فى المدارس وفى القضاء وفى الصحافة وفى المجالس النيابية ، منبها إلى أن هذا هو السبيل الوحيد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى علاج ما يسمونه « مشكلة الفصحى والعامية » . ذلك هو صوت الأستاذ عارف النكدى عضو وفد مجمع دمشق فى بحثه (اللغة العربية بين الفصحى والعامية : ٨٩ - ١٠٤) .

وسأعرض نماذج مما جاء فى هذا الكتاب ليتأكد القارئ أنى لا أتزيد فى القول ولا أبالغ فى التصوير ولا أتجنى على أحد . ثم أعود بعد ذلك إلى مناقشة بعض هذه الدعاوى العريضة التى انخدع بها كثير من السذج الغافلين . وقبل أن أشرع فى ذلك أحب أن أبادر ببعث الطمأنينة إلى قلوب من أزعجتهم هذه المقدمة فأقول : إن المؤتمر قد رفض الأخذ بشىء من هذه الآراء المعوجة والدعوات السقيمة . ولكنى أحب أيضا أن أنبه إلى أن الداعين بهذه الدعوات قد استطاعوا أن ينفذوا إلى بعض قرارات المؤتمر ، ويتركوا فيها أثرا من سمومهم ومسحة من أمراضهم وأسقامهم تكشف عن الخطر الذى يتهدد حصوننا من داخلها .

يروى أحمد حسن الزيات قصة مجمع اللغة العربية فى القاهرة بين الفصحى والعامية ، فيقول : إن المحافظين من شيوخ الأدب قد سيطروا عليه فى أول نشأته . ثم انتهى زمامه إلى الكتاب والصحفيين الذين نبهوا المجمع إلى أهمية العامية وإلى خطورة جمود اللغة بتخلفها عن مسايرة الزمن (ص ٨١ - ٨٢) . ويقدم مثالا من جهود هؤلاء (المجددين) بالبحث الذى ألقاه أحدهم فى دورة ٤٦ - ٤٧ عن (موقف اللغة العامية من اللغة الفصحى) فدعا فيه إلى التساهل فى بعض قواعد الإعراب وعدم التشدد فى قبول المستحدث من الألفاظ والأساليب التى تجرى على كل لسان لكى (يسهل علينا تطوير الفصحى حتى تقترب من العامية) . ودعا كذلك إلى أن نشرع فى دراسة عاميات الأقطار العربية المختلفة لإقرار ما هو مشترك منها سواء صح فى معاجم اللغة وكتبها (ص ٨٣ - ٨٤) . وذكر الزيات أنه ألقى بعد ذلك بحثا عن (الوضع اللغوى وحق المحدثين فيه) ذهب فيه إلى إباحة استعمال المولد ، وإزالة السد القائم بين الفصحى والعامية لكى ينتج (من تداخل اللغتين وتفاعلهما لغة تجمع بين محاسن هذه ومحاسن تلك - ص ٨٥) كما اقترح (لتقريب الخلاف بين العامية والفصحى أن يفتح باب الوضع للمحدثين على مصراعيه . . . وأن يرد الاعتبار على المولد ليرتفع إلى مستوى الكلمات القديمة ، وأن يطلق القياس فى الصفحى ليشمل ما قاسه العرب ، وما لم يقيسوه ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأن يطلق السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما نسمع من طوائف المجتمع كالحدادين والنجارين والبنائين وغيرهم من كل ذى حرفة - ص ٨٥) . ويقول الزيات إن مجمع القاهرة قد أقر هذه المقترحات وأخذ فى تطبيقها [١] .

أما على حسن عودة مندوب حكومة الأردن فقد ظن أن هدف هذا المؤتمر هو (أن نقضى على اللغة العامية ونحل محلها لغة تعبير وتخاطب عربية فصيحة سهلة التناول يستعملها الكبير والصغير ، ويكون فيها الغناء فى الحياة الاجتماعية فى كافة مرافقها - ص١٨١). وتصور المسألة على هذا النحو خطأ كما سأبينه فيما بعد ، لأنه غير ممكن ولا ميسور ولا هو مطلوب ، ولأنه يخالف طبائع الأشياء .

ويكاد القارئ أن يطمئن إلى سلامة قصد الكاتب رغم خطأ تصوره حين يظن أن هدفنا هو القضاء على العامية . ولكنه لا يلبث أن يتبين أن هدفه فى حقيقة الأمر هو اختراع لغة عربية جديدة ونشرها بين الناس بكل وسائل النشر (فإن لدينا اليوم من الوسائل الحديثة ما يضمن النجاح لمجهود يبذل فى سبيل ترقية لغة التخاطب فى البلاد العربية ويضمن البقاء والتقدم أيضا لكل لغة عربية فصيحة يتواضع عليها ، تستوعب مصطلحات المستجد من آثار العلوم والفنون - ص ١٨٢) . وهو يقترح تبسيط اللغة واختصارها ، كما يقترح على جامعة الدول العربية (أن تعنى بوضع معجم يسمى معجم العامة ، أو غير ذلك من الأسماء ، يكتفى فيه بالمفردات التى يحتاج إليها فى كافة مرافق الحياة ، وتحشد فيه أوضاع جديدة للدلالة على مستحدثات العصر الفنية المتداولة . ثم يلجأ فى تعميم هذه اللغة العربية الفصيحة العامة إلى كل الوسائل الكفيلة بتعميمها ابتداء من المدارس الليلية التى يحمل العمال والمشتغلون فى النهار على غشيانها ، وفى المدارس الابتدائية التى يتكفل القائمون فيها بتعليم الأطفال فى كتب خاصة تعيد مؤلفوها بألفاظ هذه اللغـــة ، وبتعويد هؤلاء الأطفال التحدث بالفصيح المقترح فضلا عن القراءة . ص ١٨٣ - ١٨٤) .

ومن الواضح أن هذا الرجل يريد أن يخترع لغة فصيحة جديدة ، ثم يدعو إلى تعميمها بتقييد مؤلفى الكتب المدرسية أن يكتبوا (بالفصيح المقترح) ، أى أنه يلزمهم أن لا يستعملوا

---

(١) اعترف منصور فهمى بذلك فى محاضراته التى ألقاها فى هـذا المؤتمر عن أهداف مجمع مصر فى خدمة اللغة العربية [ص ٢٤١ ــ ٢٥٦] .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« الفصحى القديمة » التي يدعو إلى اختصارها واستبعاد غير المألوف من مفرداتها وإضافة ما يرى إضافته إليها . ولست أدرى ما هو الحد الفاصل بين المألوف وغير المألوف فى اعتباره ؟ ومن هو الحكم فى التمييز بينهما ؟ هل هو الأمى الجاهل ، أم هو المثقف من غير محترفى الأدب ، أم هو الكاتب الممارس للكتابة فى الصحف اليومية ، أم هو الشاعر والناقد ، أم هو عالم اللغة ؟ أليس الأسهل تعميم الفصحى القائمة الموجودة الموروثة بدل التواضع على فصحى جديدة تقيد بها الكتاب والمؤلفين ، مع وجود لغة متواضع عليها هى حقيقة قائمة ثابتة حية ماثلة فيما يتداول العرب جميعا من كتب ومن صحف يلتقون ويلتقى معهم المسلمون من غير العرب عند فهمها والتعبير بها ، وهى نفسها اللغة التى تفاهم بها العرب فى مؤتمرهم هذا والتى عبر بها صاحب هذا الاقتراح العجيب ففهمنا وفهم كل الناس عنه ؟ .

واقتراح أحمد عبد السلام مندوب حكومة تونس قريب من اقتراح مندوب حكومة الأردن السابق حتى لكأن شيطانهما واحد : فهو يقترح على المجامع اللغوية (أن تؤلف لكل قطر معجما صغيراً لا يتضمن إلا الألفاظ العربية الفصيحة التى بقيت مستعملة بمعناها الأصلى فى لغة ذلك القطر . وأن يوصى معلمو الأحداث والعامة بالاقتصار عليها قدر المستطاع - ص ٢٠٨) . واقتراحه هذا ينتهى إلى إيجاد لغات عربية متعددة تمثلها هذه المعاجم المقترحة التى تحيى دارس اللهجات وميت اللغات بعد أن جمع الله العرب - بل المسلمين - على فصحى القرآن ويزيد فى توسيع الهوة بين هذه المعاجم أن صاحب هذا الاقتراح يوصى بالتوسع فى قبول الكلمات المولدة والدخيلة فيها كما يوصى (لزيادة الخبرة بعربيتنا وبمدى حيويتها ، أن يشتغل عدد من علمائنا باللغات العامية وأن يدرسوها دراسة دقيقة - ص ٢٠٩) وهو يخفى حقيقة أهدافه وخطورة آرائه بالقناع الذى يتقنع به طه حسين وشيعته حين يتظاهرون بعدائهم للعامية ثم يزعمون للناس أن هناك خطراً على العربية الفصحى أن يهجرها الناس إلى العامية إذا لم تخضع لما يسعون إليه من تطور مزعوم !

والذى يفضح هؤلاء الناس ويكشف عن مصدر هذه الوساوس فى نفوسهم وحقيقة الذى ألقى هذه الأوهام فى رءوسهم وحرك بها ألسنتهم ودفعهم إلى ترويجها هو أنك تجد فريقاً منهم يفكرون بالإنجليزية أو بالفرنسية ثم يترجمون تفكيرهم إلى العربية . تجد ذلك فى محاضرات أنيس فريحة عن (اللهجات وأسلوب دراستها) التى نشرها معهد الدراسات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العربية العالية بجامعة الدول العربية ، حين يفكر للغة العربية باللغة الإنجليزية ويريد أن يلبس لغتنا أثواباً لم تقد على قدها ولم تجعل لها . إذ يثبت الاصطلاح الإنجليزى ثم يصطنع لها اصطلاحاً عربياً يقابله . وتجده كذلك فى محاضرة منير العجلانى التى ألقاها فى مؤتمرنا هذا عن (رابطة اللغة والأمة : ص ٢١٧ - ٢٢٧) ، حين يصب تفكيره فى قوالب فرنسية ، فلا يكاد يأخذ فى تعريف الدولة أو الحكومة أو الأمة أو الشعب أو أثر اللغة فى وحدة الأمة حتى يبنى كلامه على رأى لهريو أو رينان أو ما تسينى أو فلان وفلان من أصحاب المذاهب الغربية عموما والفرنسيه خاصة . ومنير العجلانى هذا لا يعترف بأن الإسلام رحم وصلة بين المسلمين [1] وأنه جامعة من أوثق الجامعات ، لأنه يجرى فى تعريف القومية العربية على قياسها بمقاييس أوروبا اللادينية التى روجها اليهود منذ الثورة الفرنسية اليهودية . يقول عند كلامه عن الدين بوصفه عنصرا من مقومات القومية . (كان الدين فى العصور الوسطى يجمع الشعوب ويفرقها ، ولكن أثره فى تكوين الأمم تضاءل فى الزمن الحاضر . وربما أسقطه غلاة القومية من حسابهم [2] - ص ٢٢٤) .

وترديد المحاضر لاصطلاح « العصور الوسطى » هو أثر من آثار الاستعباد الغربى الذى يخضع له تفكيره . فتعبير « العصور الوسطى » تعبير أوروبى يقترن فى أذهان أصحابه بالتخلف والهمجية ، لأنه يقترن بالظلم وبالنظام الإقطاعى وبالرق وباستبداد الكنيسة وطغيانها . والذين يفكرون برءوس أوروبية يستعملون هذا الاصطلاح بمعناه ذاك ، رغم الاختلاف الواضح بين ظروفنا وظروفهم . فالعصور الوسطى تقابل عندنا عصر الرسالة المحمدية وأزهى عصور الإسلام . فهى بالقياس إلى العربى وإلى المسلم عصر النور والمجد والعدل ، فى الوقت الذى يعتبرها الأوروبى فيه عصر الظلام والظلم والتخلف . أليس ذلك ضربا من ضروب الاستعباد الفكرى ، وهو شر ألوان الاستعباد ، بل هو أخطر ما خلفه الاستعباد الفرنسى والاستعباد الإنجليزى فى الشعوب الإسلامية التى استعبدها .

---

(١) المجلة - مع أنه من بيت علم إسلامى عريق ، ولكن الثقافة الأجنبية فصلت الكثيرين عن بيوتهم .

(٢) المجلة - هذا فى الغرب ، أما فى الشرق العربى فالدين أوسع أفقا من مدلوله فى الغرب ، والعروبة أكثر تعاوناً مع الإسلام فى ماضيهما وحاضرهما .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ذلك هو بمجمل ما عرضه أصحاب ذلك المشكل الذى توهمـــوه فابتدعوه ، وزعموه ثم أوجدوه ، بين العامية والفصحى .

أما الاقتراحات التى تدعو إلى مسخ قواعدنا فى اللغة وفى النحو وفى الإملاء والخط ، فقد جاءت على لسان طه حسين ، وصفيه إبراهيم مصطفى الذى صدع بوحيه حين ألف منذ عشرين عاما كتاباً ميتاً فى النحو سماه « إحياء النحو » . ألقى طه حسين محاضرة دعا فيها إلى العدول عن قواعد النحو الثابتة المتدارسة التى اجتمع عليها العرب والمسلمون زاعماً أنها لم تعد صالحة وأنها هى السبب فى ضعف الطلاب وتخلفهم (٢٢٨ - ٢٤٠) . وتقدم إبراهيم مصطفى باقتراحين ، أحدهما فى (كتابة الهمزة والألف اللينة : ص ١٦٠ - ١٦٥) دعا فيه إلى توحيد الصور الكتابية للهمزة ، والآخر فى (تيسير قواعد النحو : ص ١٦٦ - ١٧١) مهد به لاقتراحات (تيسير النحو والصرف : ص ١٧٢ - ١٨٠) المقدمة باسم مجمع القاهرة والتى تحمل طابع إبراهيم مصطفى المعروف فى (إحياء النحو) الذى دعا فيه إلى تبويب جديد للنحو من ابتكاره . وقد سحب إبراهيم مصطفى اقتراح الهمزة قبل أن ينظر فى جلسة المؤتمر العامة ، ويبدو أنه لم يجد الظرف مهيأ لقبوله فخشى أن يتخذ قرار برفضه وآثر أن يدع الباب مفتوحا حتى يستطيع هو أو آخر من عصابته العودة إلى ذلك فى فرصة أكثر ملاءمة . أما مقترحات تيسير النحو فقد قرر المؤتمر فى شأنها أنه (نظر فى مقترحات، تيسير النحو التى أعدتها وزارة التربية والتعليم فى مصر فوجد بعد دراستها أنها تحتاج إلى زيادة فى البحث والتمحيص ، وقرر تأجيل النظر فيها إلى مؤتمر آخر : ص ٢٧٨) . وقد كنت أرجو أن يقضى فيها المؤتمر قضاء حاسما صريحا يقرر فيه فسادها وضررها ؛ لأن هذا القرار الذى يظهر فيه نفوذ دعاة الهدم والتبديل لم يمنع القائمين على برامج التدريس فى مصر من أن يضعوا هذه المقترحات الفاسدة موضع التنفيذ .

وبعد فقد شغل هؤلاء المحاضرون والمقترحون بمثالهم الوهمية ما يقرب من نصف وقت المؤتمر [١] . على أن أكثر ما جاء فى مقالاتهم بضاعة مزجاة بارت فى كل سوق ، وكلام معاد مكرور ليس فيه جديد . ولكن أصحاب هذه المذاهب المنحرفة يعتمدون فى أسلوبهم على أن الناس إذا تكرر سماعهم للباطل أوشكوا أن يصدقوه . لذلك فهم يكررون القول حيناً بعد حين ودفعة بعد فترة ، ولا ينضب لهم معين فى إلباس مقالهم أليق الأثواب بالمقام وعرضه من جوانب جديدة تقربه من نفوس الناس .

---

[١] استغرقت محاضراتهم واقتراحاتهم تسعا وتسعين صفحة من سجل المؤتمر الذى يزيد قليلا على مائتى صفحة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهم لا يسئمون من هذا التكرار ؛ لأنهم يعرفون أنهم يخاطبون فى كل مرة جيلا جديداً غير الذى سمعهم من قبل . وقد ينجحون فى إغواء بعض من ضاقت عنه حيلهم من قبل . وهم يعتمدون مع ذلك كله على أفراد عصابتهم ممن وصلوا إلى مراكز تسمح لهم بمديد العون فى ترويج هذه الدعاوى وفى وضعها موضع التنفيذ ، وفيهم من يشغل مراكز خطيرة تسمح لهم بالسيطرة على الصحافة والإذاعة ووزارات التعليم والجامعات . لذلك كان فرضاً لازماً على كل عارف بحيلهم أن لا يمل من تكرار الرد عليهم ركوناً إلى أنه قد أذاع الرد من قبل ، حتى لا تنفرد دعاياتهم المفسدة بالشباب فتستأثر به ثم لا يجد ما يصححها وينتشله من تيارها ويبطل فعل سمومها .

وأول ما يلفت النظر فى هذه الكلمات والمقترحات ما انحدرت إليه مجامع اللغة العربية - ومجمع القاهرة منها خاصة - من ترويج الدعوات المريبة إلى تطوير اللغة وقواعدها ورسمها . وهو تطوير يختلف أصحابه فى تسميته ، ولكنهم لا يختلفون فى حقيقته . يسمونه تارة تهذيبا وتارة تيسيرا وتارة إصلاحا وتارة تجديدا ، ولكنهم فى كل الأحوال وعلى اختلاف الأسماء يعنون شيئا واحدا هو التحلل من القوانين والأصول التى صانت اللغة خلال خمسة عشر قرنا أو يزيد ، فضمنت لجيلنا وللأجيال المقبلة أن تسرح بفكرها وتمرح فى معارض فنون القول وآثار العبقريات الفنية والعقلية لا تحس قيود الزمان ولا المكان ، فكأنما القرآن قد أنزل فينا اليوم ، وكأنما شعراء العربية وفقهاؤها وفلاسفتها وكتابها وأطباؤها ورياضيوها وطبيعيوها وكيميائيوها على اختلاف أزمانهم قد كتبوا ما كتبوا وألفوا ما ألفوا فى الأمس القريب ، وكأنما المتنبى أو البحترى يخاطب جيلنا لا تمييز بينه وبين شاعر معاصر كالبارودى أو شوقى أو حافظ ، وكأنما الرصافى يكتب شعره للقاهريين ، وكأنما الشابى يكتب شعره للشاميين ، وكأنما شوقى يخاطب بشعره أهل المغرب ، وهذه ميزة من الله بها علينا ولم تحظ بمثلها أمة من الأمم . فإذا تحللنا من القوانين والأصول التى صانت لغتنا خلال هذه القرون المتطاولة تبلبلت الألسن وأضاف كل يوم جديد تطلع على الناس شمسه مسافة جديدة توسع الخلف بين المختلفين ، حتى يصبح بين الشامى والمغربى مثل ما بين الإيطالى والأسبانى ، وتصبح عربية الغد شيئا آخر يختلف كل الاختلاف عن عربية القرن الأول ، بل عربية اليوم والأمس القريب ، وتصبح قراءة القرآن والتراث العربى والإسلامى كله متعذرة على غير المتخصصين من دارسى الآثار ومفسرى الطلاسم ، وعند ذلك يصبح كل جهد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سياسى أو حربى أو أدبى مما يبذل اليوم فى جمع شمل العرب وتدعيم القومية العربية عبثا لا طائل تحته . لأنه كالنفخ فى قربة مقطوعة أو بناء القلاع فوق الرمال أو الارتفاع بالأبراج التى تناطح السحاب على غير أساس .

وليس الخطر الكبير فى الدعوة إلى العامية ، ولا هو فى الدعوة إلى الحروف اللاتينية ، أو الدعوة إلى إبطال النحو وقواعد الإعراب أو إسقاط بعضها ، فالداعون بهذه الدعوات من صغار الهدامين ومغفليهم الذين ليس لهم خطر العتاة ممن يعرفون كيف يخدعون الصيد بإخفاء الشراك ، وكيف يستدرجون الناس بتزوير الكلام . إن الخطر الحقيقى هو فى الدعوات التى يتولاها خبثاء الهدامين ممن يخفون أغراضهم الخطيرة ويضعونها فى أحب الصور إلى الناس . ولا يطمعون فى كسب عاجل ، ولا يطلبون انقلابا كاملا سريعا . الخطر الحقيق هو فى قبول مبدأ التطوير نفسه ؛ لأن التسليم به والأخذ فيه لا ينتهى إلى حد معين أو مدى معروف يقف عنده المطورون ؛ ولأن التزحزح عن الحق كالتفريط فى العرض ، فالذى يقبل التزحزح عن الحق قيد أنملة مرة واحدة يهون عليه أمثالها مرة ثم مرات ، حتى يسقط إلى الحضيض ، ومن اعتراه شك فى حقيقة ما يراد بقرآننا وبلغته وبإسلامنا وكل تراثه فليقرأ قول طه حسين فى كتابه « مستقبل الثقافة فى مصر » : « وفى الأرض أمم متدينة كما يقولون ، وليست أقل منا إيثارا لدينها ولا احتفاظا به ولا حرصا عليه . ولكنها تقبل فى غير مشقة ولا جهد أن تكون لها لغتها الطبيعية المألوفة التى تفكر بها وتصطنعها لتأدية أغراضها . ولها فى الوقت نفسه لغتها الدينية الخالصة التى تقرأ بها كتبها المقدسة وتؤدى فيها صلواتها » فاللاتينية مثلا هى اللغة الدينية لفريق من النصارى ، واليونانية هى اللغة الدينية لفريق آخر والقبطية هى اللغة الدينية لفريق ثالث ، والسريانية هى اللغة الدينية لفريق رابع (١) . . . وبين المسلمين أنفسهم أمم لا تتكلم العربية ولا تفهمها ولا تتخذها أداة للفهم والتفاهم ولغتها الدينية هى اللغة العربية ، ومن المحقق أنها ليست أقل منا إيمانا بالإسلام وإكبارا له وذيادا عنه وحرصا عليه ـ الفقرة ٣٦ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ من طبعة المعارف ١٩٤٤) . فإذا وعى

---

(١) ليس هذا الكلام من صنع طه حسين فهو ترديد لما قاله القاضى الإنجليزى ولمور I. Selden. willmore من قبل فى كتابه « عامية مصر » The spoken Arabic of Egypt ص ١٥ من طبعة لندن ١٩٠١ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القارئ هذا القول وما وراءه نلبيق بكل ما سواه فى وجه صاحبه ، لأنه ضرب من النفاق ، وأسلوب فى التكبيد .

على أن تقديس لغة القرآن والتزام أصولها وقواعدها وأساليبها لم يكن فى يوم من الأيام داعيا إلى تحجر اللغة ، وجمود مذاهب الفن فيها ، ووقوفها عند حد تعجز معه عن مسايرة الحياة ، كما يشنع به الهدامون ويخدعون به الأغرار وصغار العقول وقصار الهمم . فليس التطور نفسه هو المحظور ، ولكن المحظور هو أن يخرج هذا التطور عن الأساليب المقررة المرسومة . وذلك يشبه تقيد الناس فى حياتهم الاجتماعية بقوانين الدين والأخلاق . فليس يعنى ذلك أنهم قد استعبدوا لهذه القوانين ، وأنها قد أصبحت تحول بينهم وبين مسايرة الحياة أو الاستمتاع بخيراتها ولذائذها . ولكنه يعنى أنهم يستطيعون أن يغدوا وأن يروحوا كيف شاءوا ، وأن يستمتعوا بخيرات الدنيا وطيباتها ويتصرفوا فى مسالكها ويمشوا فى مناكبها ، كل ذلك فى حدود ما أحل الله ، وكل ذلك مع التزام الوقوف عند حدود الله . كذلك اللغة ، وضع اللغويون والنحاة والبلاغيون لها حدوداً طابقوا بها مذهب القرآن وكلام العرب ، وتركوا للناس من بعد أن يستحدثوا ماشاءوا من أساليب ، وأن يتصرفوا فيما أرادوا من أغراض ، وأن يجددوا ما أحبوا مما يشتهون ومما تتفتق عنه عبقرياتهم . ولكن كل ذلك لا ينبغى أن يخرج بهم عن الحدود المرسومة . فماذا فى ذلك غير ضمان الاستقرار والحرص على جمع الشمل ؟ وهل عاق ذلك عرب بغداد وعرب الأندلس عن الافتنان فى القول وفى مذاهب الفن ؟ وهل ضاقت معه عربية البدو عن الاتساع لما نقل العرب وما استحدثوا من معارف وعلوم ؟ .

أما ما جاء على لسان بعض المشتركين فى هذا فى المؤتمر مثل أحمد حسن الزيات (ص ٨١ - ٨٨) . ومنصور فهمى (ص ٢٤١ - ٢٥٦) فى تصوير انحراف مجمع اللغة العربية عن القصد فليس إلا قليل من كثير . ومن شاء فليرجع إلى مجلة المجمع ليرى صورة أوضح وأكثر تفصيلا لما يهدر من جهد فى الكلام عن العامية وعن مسخ الخط العربى وقواعد النحو . أليس ذلك عجباً من العجب ؟ وأعجب منه أن يصير إلى مركز القيادة فى ذلك الحصن رجل يشهد ماضيه الثابت المسجل فيما نشر على الناس من صحف أنه كان حربا على الجامعة الإسلامية وعلى الجامعة العربية لا يراهما إلا وهما من الأوهام ، وأنه كان أول من رفع صوته بالدعوة إلى تمصير اللغة العربية . أمثل هذه الغاية يعمل مجمع القاهرة وقد دارت الأيام واستقام عوج الزمان ؟

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أما ما زعمه على حسن عودة مندوب حكومة الأردن فى المؤتمر ـ أو ماتخيله ـ من أن هدفنا هو توحيد العامية والفصحى وجعلهما لغة واحدة فهو خطأ أساسى فى تصور الموضوع. فليس مطلوبا أن تصبح لغة الحديث و الأسواق والتعامل بين الناس هى نفسها لغة الشعر والأدب والعلم والفلسفة. لأن التعامل يحتاج إلى لغة سريعة الوفاء بالغرض، ولكنه لايحتاج إلى لغة دقيقة كحاجة العلم إليها، ولا يحتاج إلى لغة جميلة مؤثرة كحاجة الشعر والأدب عموما إليها. إذ يكفى فى لغة التعامل أن يفهم بعض الناس عن بعض من أقرب طريق وأخصره. وقد يستعين المتعاملون على إتمام ما فى العامية من قصور بإشارات اليدين وبتلوين نغمة الكلام وتنويعها، وبالتعبير بقسمات الوجه. ومن الواضح أن لغة الأسواق لا تناسبها لغة راقية معقدة التركيب ـ ككل ما هو راق، فالبساطة تلازم الحالات الفطرية الساذجة ـ لأن قواعد اللغة الراقية تضيع وقت المتعاملين الذين لايحتاجون للدقة أو الجمال حاجتهم إلى السرعة. فاستعمالهم الفصحى فى التعامل يشبه استعمال الموازين الدقيقة التى يوزن بها الذهب والأحجار الكريمة فى وزن الخبز والملح. أو استعمال المقاييس الهندسية الدقيقة فى قياس الأقمشة ومسح الطرقات، فهو إسراف فى التأنق وبعثرة للجهد وتضييع للوقت، لايصبر عليه البائع ولا المشترى. ثم إن اللغة الراقية التى تنظمها القواعد لاتصلح لحاجات الحياة اليومية من وجه آخر. فقواعد اللغة الفصحى تجعل تطورها بطيئا وصعبا، بينما لغة التعامل والأسواق تسد حاجات متغيرة يطرأ عليها كل يوم جديد لم يكن بالأمس. أما لغة الأدب فهى سجل لحالات عقلية ونفسية ثابتة متصلة، من الخير أن نحرص فيها على صلة الخلف بالسلف إلى أبعد مدى ممكن؛ لكى ينتفع بتجاربه فيزداد بذلك علماً ودراية ومتعة وذوقا. نحن نقرأ ما كتب فى الأدب منذ آلاف السنين فنجد فيه صورة من تفكيرنا الراهن ومن أحاسيسنا الحية. ولذلك فالأدب محتاج إلى لغة أكثر استقراراً لتحقيق هذه الصلات بين القديم والجديد. وهو يحتاج إلى لغة مصفاة منتقاة، للكلمات فيها وللعبارات تاريخ وظلال تعوض بعض ما فى اللغة من قصور فى التعبير عن مكنونات النفس وخطرات الفكر. واللغة محدودة بكلمات المعاجم. أما الأحاسيس والأفكار التى يموج بها عالم النفس والعقل فهى خفية متعددة متجددة لاتكاد تدخل تحت حصر فى تنوعها وفى دقة الفوارق بين بعضها وبين البعض الآخر. لذلك كان لابد للأديب أن يستعين على إتمام قصور اللغة هذا باستغلال خصائص الكلمات الصوتية واستغلال ظلال الكلمات مفردة ومركبة. وإنما تنشأ ظلال

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكلمات مما ترتبط به فى تاريخها الطويل من استعمالات ومما فى طبيعة تركيبها الصوتى من أسرار . وذلك كله لا يتوافر إلا فى الكلمات التى صفاها طول الاستعمال فأثبت بقاؤها على تقلب الظروف والأحوال والأزمان صلاحيتها للبقاء ، والتى صقلتها ألسن القائلين وآذان السامعين وأذواق النقاد ، والتى شحنها وأغناها ما تراكم حولها من المعانى والأطياف التى تقلبت بينها فى تنقلها الطويل عبر التاريخ .

من ذلك كله يتضح أن لغة الأسواق شىء وأن لغة الأدب شىء آخر . وكل منهما صحيحة فى ميدانها . فهما كلباس المصنع أو المهنة ولباس المسجد أو المحافل ، يتخذهما العامل ويقتنيهما جميعا ، ولكنه يستعمل كلا منهما فى موضعه ، فلا يلبس للمصنع لباس المسجد والمحافل ، ولا يلبس المساجد والمحافل لباس المصنع والمهنة . كذلك الشأن فى لغة التعامل اليومى وفى لغة الأدب ، تمتاز إحداهما من الأخرى حسب طبيعة كل منهما ووظيفتها . وهذه ظاهرة طبيعية مطردة التحقق واللزوم فى كل اللغات قديمها وحديثها ، شرقيها وغربيها . فقد كان للناس دائما لغة للأدب تختلف عن لغة الحديث والمساومة والتعامل منذ كان لهم أدب رفيع . لأن البدائيين وحدهم هم الذين يكتبون أدبهم بلغة الحديث . فإذا تطور هذا الأدب وسما ارتفع عن لغة الحديث وخلف لغة الأسواق والتعامل وراءه . ولو اتخذت لغة الأسواق لغة للأدب على ما يريده الخادعون والمخدوعون ، فتطورت وارتقت ، انشأ إلى جانبها حتما لغة أخرى للأسواق تتحرر من قواعد اللغة الأدبية وقيودها ، وتنزع عنها ما لا تحتاج إليه مما يفيد الدقة أو الجمال حتى تسعف البائع والمشترى والصانع والزارع والسائل والمسئول من ناحية ، ولكى تساير حاجات الحياة وشئونها المتجددة من ناحية أخرى . وإذن لا نكون قد قربنا بين اللغتين على ما يزعم أصحاب ذلك المذهب ، ولكن كل ما نبوء به عند ذلك هو قطع الصلات بيننا وبين الماضى كله بما فيه من دين ومن علم ومن أدب ومن تاريخ ومن تجارب إنسانية متعددة ، فهو بمثابة إعدام هذه السجلات الحافلة ، مما يجعل مهمة الأحياء والأجيال المقبلة صعبة إلى درجة التعذر فى تقصى حقائق الأشياء وتأريخها .

ومع ذلك كله فالأدب بطبعه متعة عقلية وروحية . وهو بهذا الاعتبار ليس هواية شعبية وليست المشكلة فيه هى مشكلة الألفاظ فحسب ، ولكنها مشكلة الأفكار والأخيلة التى تحتاج فى تذوقها إلى مستوى ثقافى معين . فمهما نعمل على تيسير الألفاظ وجعلها فى متناول عامة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الناس فلن يستطيعو إلا فهم ما يلائم عقولهم وثقافاتهم من الآداب السطحية التى لا تعبر عن أغوار الحقائق وأعماقها . ذلك هو المدلول الحقيقى لكلمة (الأدب الشعبى) . فالأدب الشعبى لا يتميز بلغته فحسب ، ولكنه يتميز أولا وقبل كل شئ بسطحيته فى التفكير وبساطته التى تلائم السذج من البدائيين ، ولكنها لا تشبع حاجات المثقفين وطلاب المعرفة من أصحاب الفكر الرفيع والذوق الرهيف والمزاج الصافى الصقيل .

زعم رئيف أبو اللمع الأمين العام المساعد للشئون الثقافية فى مقدمة الكتاب أن على اللغة (أن تساير المجارى المتدفقة المسرعة من تحوير وتبديل وتعديل وتجديد ، فإذا لم تتبع اللغة العربية سنة النشوء والارتقاء فقدت عناصر الحياة - ص ٢) . وزعم الزيات عضو مجمع القاهرة أن إزالة السد القائم بين الفصحى والعامية سيقضى على (مساوئ الفصحى أو عنجهيتها فتموت كما يموت الحوشى المهجور من كل لغة - ص ٨٥) ، والواقع أن هذا التطور الذى يتحدث عنه الأمين على ثقافة العرب حادث فعلا ، وهو يحدث كل يوم ، ولكنه يحدث من تلقاء نفسه ولا تحشد له المؤتمرات لتصطنعه .

والتطور على كل حال ينبغى أن يكون بالقدر الذى لا يقطع صلتنا بالماضى ، وبالقدر الذى لا يخشى معه أن يتطور إلى قطع صلة الأجيال المقبلة بالجيل الماضى أيضاً ، بحيث يتحول قرآننا وحديث نبينا وفقه فقهائنا إلى طلسم لا يقرؤه إلا طلبة من الكهان يحتكرون تفسير الإسلام . هذا التطور واقع ، لأن حاجات الحياة تدفع إليه ، فالناس مضطرون إلى التعبير عن أنفسهم وعن الحياة فى مختلف نواحيها : فى أدبهم وفى صحفهم وفى إذاعاتهم التى تحكى ما يجرى فى الحرب والسلم ، وفى قصصهم وفى كتبهم العلمية التى تضطر إلى استحداث الألفاظ لما يستحدث من آلات أو أدوات أو متاع ، ومن كشوف جديدة أو حقائق أو نظريات . والمهم فى ذلك كله هو أن يحرص العرب على استعمال لغتهم العربية فى كل هذه الميادين ، كما دعا إلى ذلك بحق وإخلاص عارف النكدى عضو الوفد السورى (ص ٨٩ - ١٠٤) وكما انتهى إليه المؤتمر فى توصياته (ص ٢٧٨) ، فتحرص الإذاعات والصحف ومنابر العلم عامة والجامعات خاصة والقضاء والمؤتمرات على اللغة الفصحى . هذا هو السبيل الطبيعى لتطور ، وما عداه فهو وسائل صناعية لا تؤدى إلا إلى البلبلة ، وهى جعجعة بلا طحن .

أما ما زعمه عضو مجمع القاهرة من موت الحوشى وتصفية اللغة وتنقيتها فهو لا يتوقف على تفاعل الفصحى مع العامية كما يزعمه . فالحوشى يموت بطبعه كما يذهب كل باطل وكل ثقيل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكل مستهجن غير صالح ، لأن الأدباء والشعراء والعلماء ينفرون من استعماله . وهؤلاء هم في الحقيقة - بما وهبوا من ذوق - صناع اللغة . وهم الذين يقومون بمهمة التصفية التي يتحدث عنها الكاتب ، ومن وراء هؤلاء الأدباء والشعراء والعلماء الذوق العربي العام الممثل في جمهور القراء والرواة ، فهم الذين يحكمون على الصالح بالبقاء لأنهم يتناقلونه خلفا عن سلف ، وينشرونه في الآفاق ، بينما يحكمون على الساقط والسخيف الركيك بالموت ؛ لأنهم يهملونه ولا يكترثون له . وهؤلاء هم المحكمة الصادقة التي لا تخضع للأهواء ، ولا يجوز عليها التزييف والتزوير .

وطه حسين ومن ذهب مذهبه مثل مندوب حكومة تونس في هذا المؤتمر يوهمون الناس بأن هناك خطراً على العربية الفصحى أن يهجرها الناس إلى العامية إذا لم تخضع لما يريدونه من تطور (ص ٢٨٣ ، ٢٠٩) . ويبني مندوب الحكومة التونسية على هذا الوهم أو الإيهام اقتراحا بأن (يشتغل عدد من علمائنا باللغات العامية وأن يدرسوها دراسة دقيقة - ص ٢٠٩) كما يقترح على المجامع اللغوية (أن تؤلف لكل قطر معجما صغيرا - ص ٢٠٨ . والذي ينقض هذا الزعم الباطل من أساسه هو الواقع المشاهد في القديم السالف وفي الحاضر الراهن ، الذي أثبت أن العربية قد عاشت جنبا إلى جنب مع هذه اللهجات المحلية أكثر من ألف عام حتى الآن .

فالخوف من إعراض أصحاب اللغة العربية عنها هو وهم اخترعه هؤلاء المغرضون ، أو اخترعه لهم سادتهم ثم قاموا هم بترويجه . وينقض هذا الوهم أو هذا الزعم أن العربية قد استطاعت أن تحيا خلال بيئات متفاوتة وعصور متطاولة ودرجات من الحضارة والمدنية أدناها البداوة وأعلاها ما وصلت إليه في بغداد وفي الأندلس . استطاعت - وهي اللغة البدوية - أن تكفي حاجات ما جد من علوم ودراسات . وظلت مع ذلك كله هي هي . نقرأ القرآن بعد أربعة عشر قرنا من نزوله فكأنه أنزل اليوم ، ونقرأ الجاحظ والمتنبي بعد ألف سنة أو أكثر فكأنما نقرأ لكتاب ولشعراء معاصرين . وقد تجاورت لغة الأدب الرفيعة ولغة الحديث العامية طوال هذه القرون على اختلاف البيئات فلم تطغ إحداهما على الأخرى ، ولم تنفر إحداهما من مجاورة صاحبتها . ومع ذلك فإن هذا الخطر الموهوم المزعوم يكفي في دفعه - إن كان - أن تحسن الدولة القيام على تعليم العربية في مدارسها وأن تلزم باستعمالها في المجالس النيابية ، وفي دور القضاء وفي الإذاعة وفي المحافل والمجامع على اختلافها . ولا أظنني محتاجا إلى أن أنبه للخطورة التي ينطوي عليها اقتراح مندوب تونس .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وما أظن أحدا سينخدع بما يبدو فى ظاهر قوله من البراءة حين يتظاهر - مثل طه حسين - أنه معارض فى استعمال اللغة العامية للكتابة الأدبية ، وحين يشترط فى المعاجم المقترحة أن لا تتضمن إلا الألفاظ العربية الفصيحة التى بقيت مستعملة بمعناها الأصلى فى لغة ذلك القطر (ص ٢٠٨) فالمهم فى الأمر هو أن معاجم اللغة العربية سوف تختلف باختلاف بلاد العرب وأقطارهم ، وأن المعجم التونسى والمعجم المصرى والمعجم العراقى والمعجم الشامى والمعجم الحجازى والمعجم اليمنى سوف تصبح بتنفيذ هذا الاقتراح حقيقة واقعة . وهذه المعاجم المقترحة نفسها سوف تصبح بدورها موضع تنقيح وتغيير وتعديل ، وسوف ينأى بها كل تنقيح جديد عن أصلها الأول ، حتى يتناكر المتعارف ويتفرق المجتمعون ثم لا يرجى لصدعهم رأب . ذلك هو المصير المظلم الذى يبدأ بدعوة خلابة براقة بريئة الظاهر إلى دراسة اللهجات والعناية بما يسمونه تمويها على الشعوب بالآداب الشعبية .

وقد اعتمد طه حسين على هذا الأسلوب نفسه فى الدعوة إلى تبديل النحو والخط حين قال (إن أبينا إلا أن نمضى كما كان النحو وكما كانت الكتابة فلا بد أن تنشأ عن هذه اللغة العربية الفصحى القديمة لغات مختلفة كما نشأت الفرنسية والإيطالية والبرتغالية عن اللغة اللاتينية القديمة - ص ٢٣٨) . ويخدع الناس عن حقيقة ما يدعوهم إليه حين يعقب ذلك بقوله (وبعد فلا أدعو أن نهجروا القديم مطلقا ، وعسى أن أكون من أشد الناس محافظة على قديمنا العربى ، ولا سيما فى الأدب واللغة . ولكن لم لا يكون النحو القديم والكتابة القديمة والبلاغة القديمة وكل هذه العلوم العربية التى أنشئت فى عصر غير هذا العصر الذى نعيش فيه . . . لم لا يكون هذا كله متطورا كما تطورت اللغة ؟ نحفظ قديمه لدرس المتخصصين فى الجامعات وفى المعاهد ونتيح للملايين البائسة من الصبية والشباب أن يتعلموا تعلما قريبا سهلا - ٢٣٨) .

والعجيب فى الأمر أن منصور فهمى يشيد بعد ذلك فيما أحصاه من محاسن مجمع القاهرة بجهوده فى (تيسير النحو والصرف والإملاء) و (ودراسة اللهجات العربية) و (وتيسير الكتابة والخط) . فهل أصبحت مهمة مجمع اللغة العربية فى القاهرة هى دراسة اللهجات العامية وتبديل قواعد النحو والصرف والإملاء والكتابة بحيث يصبح أى أثر من آثارنا طلسما من الطلاسم ، بل بحيث يكون هذا نفسه هو مصير كل أثر عربى معاصر لا يتبع مذهب مجمع القاهرة فى التغيير والتبديل ؟ وماذا يحدث إذا نهج مجمعنا فى تيسير النحو والصرف والبلاغة على غير منهج المجامع العربية الأخرى ؟ بل ماذا يحدث إذا اتفقت مجامع العرب على أشياء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ورفضها المسلمون ؟ لأن المسلمين إنما يدرسون هذه العلوم للاطلاع على مصادر دينهم ، وهى جميعا تستعمل اصطلاحات النحاة والبلاغيين التى يسمونها قديمة . وإذا انصرف الناس فى مصر عن دراسة كتب (النحو القديم) و (البلاغة القديمة) كما يسميها طه حسين وحزبه ، وجروا وراء كل ناعق يزعم أن القواعد القديمة معقدة ، وذهب كل منهم مذهبه فى استنباط قواعد جديدة ، وتسمية المسميات بأسماء مبتكرة فقدت الاصطلاحات قيمتها . فإنما ترجع قيمة الاصطلاح إلى تواضع الناس عليه ، فإذا اختلف الناس فيه لم يعد اصطلاحا . فإذا قال مثلا (هذا فاعل) لم يفهم عنه الذى يسمى الفاعل فاعلا لأنه قد ابتكر له اسماً جديداً فسماه (موضوعا) أو (أساسا) أو (مسنداً إليه) . وإذا قال أحدهما هذا حال أو تمييز أو ظرف أو مفعول معه أو مفعول لأجله لم يفهم الآخر الذى لا يميز بين حالة من هذه الحالات لأنه يسميها جميعا (تكملة) . وقس على ذلك سائر قواعد النحو والبلاغة (١) .

والنحو العربى — ولا أقول « النحو القديم » كما يسمونه — ما عيبه ؟ وهل هو حقا كما يزعمون معقد صعب ؟ وهل ثبت فشله كما يزعمون فى تنشئة جيل عربى يقيم عربيته ويحسن تذوقها ؟ نحونا وبلاغتنا لا عيب فيهما . ومن الممكن تبسيطهما واختصار المطولات المؤلفة فيهما فى حدود القواعد والأقسام التى التزمها القدماء أنفسهم . فالواقع أن اجتماع الناس فى كل أمصار العرب — بل المسلمين — على قواعد موحدة ، دون أن تحملهم على ذلك قوة قاهرة أو تلزمهم به سلطة منفذة ، أو تقوم على نشره دعاية تروجه عصابات تسوق الناس إليه ، هذا الاجتماع على قواعد موحدة فى النحو والصرف والبلاغة بعد أن كانت مدارسها متعددة هو وحده الدليل الحى الذى لا ينقض على صلاحية هذه القواعد ، وعلى أن هذه الدعوات إلى تغييرها بدعوى التيسير أو الإصلاح هى دعوات مفتعلة يروجها هدامون وينساق وراءها مغفلون. ولو كان القصد هو التيسير حقاً لقنعوا بصنيع لجنة (حفنى ناصف ، ودياب، وطموم ، ومحمود عمر ، وسلطان محمد) فى كتاب (قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية) الذى ظلت مدارسنا تتداوله سنين طويلة . فقد نجحت هذه اللجنة فى حصر قواعد النحو والصرف والبلاغة فى كتيب صغير لا يتجاوز مائة وأربعين صفحة ، خال من التعقيد ، يفى بحاجة التلاميذ والمتعلمين . وقد كان صنيع الجارم من بعد ذلك حسنا حين يسر هذه القواعد ومهد

(١) راجع مجلة مجمع اللغة العربية ٦ : ١٨٨ وراجع كذلك كتاب القواعد الذى تداوله طلبة السنة الأولى من المرحلة الإعدادية فى العام الدراسى المنصرم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لها بالأمثلة الكثيرة ، وأعان على إقرارها بالتمرينات المتعددة، وكان ذلك كله فى حدود القواعد التى أثبتت ألف سنة صلاحيتها ، والتى استطاع العرب بفضلها وحدها ـ ولا شىء سواها ـ أن يخرجوا فى القرن الأخير هـذا الجيش الضخم من الشعراء والأدباء والنقاد الذين بلغ بعضهم مستوى أندادهم الأقدمين فى أزهى عصور الشعر والأدب العربى . وذلك من بعد أن أدرك الضعف العربية حتى كاد يدينها من القبر . كيف وجد البارودى وشوقى ؟ وكيف نشأ محمد عبده وطبقته من الكتاب ؟ وكيف وجد الرافعى والمنفلوطى ؟ بل كيف وجد المنادون بهذه البدع أنفسهم مثل طه حسين وإبراهيم مصطفى ؟ كيف استقامت ألسنتهم وصحت أساليبهم ؟ وذلك من بعد الركاكة التى تتمثل فى كاتب كالجبرتى يعتبر من أحسن كتاب عصره ؟ هل أتقن هؤلاء العربية عن طريق آخر غير قواعد النحو والصرف والبلاغة التى يزعم الزاعمون اليوم أنها معقدة وغير صالحة ؟ فأيهما نصدق ؟ هل نصدق واقعا قائما ماثلا راسخا قديما أثبتته ألف سنة وأعادت إثباته وتأكيده تجربة القرن الأخير ؟ أم نصدق مزاعم لم نر من آثارها منذ ظهرت إلا الشر وإلا التدهور والانحطاط فى مستوى تدريس العربية ؟ إن انحطاط مستوى الجيل الحاضر فى اللغة العربية أمر واقع ، ولكن سببه ليس هو صعوبة القواعد (القديمة) ، بل إن سببه هو زعم الزاعمين أنها معقدة ، لأنه قد صرف الناس عن إتقانها إلى التنقل بين تجارب فجة غير ناضجة ، وأعان على إقرار ما يتوهمه التلاميذ والمدرسون من صعوبتها ، بل اختلق هذا الوهم نفسه بعد أن لم يكن . والدليل على ذلك أن الجيل السابق لهذا الجيل ـ وهو جيل لايزال كثير من أفراده أحياءا ـ أحسن إتقانا للعربية ، رغم أنه قد نشأ فى ظل الاستعباد الإنجليزى وبرامجه ، أو فى ظل سياسة التريك التى جن بها دعاة الطورانية من الاتحاديين . وحسب الداعين بهذه الدعوة هزالا وفشلا ما اقترحوه على المدارس الإعدادية فى العام الماضى من قواعد بينة الضعف والفساد والهزال ، مما أرجو أن أعود للحديث عنه فى غير هذا المقال . لم يزالوا يطبلون ويزمرون ويطنطنون ويهولون ، فلما رأى الناس المولود الذى كانوا يبشرون به من قبل قالوا (تمخض الجبل فولد فاراً) .

ولكى ندرك خطر هذه الدعوات ونفهم حقيقة مغزاها لابد لنا أن نقرنها إلى أمثالها ، فننظر إليها فى ظل ما نسمعه من الدعوة إلى تطوير عاداتنا وتقاليدنا ، وتطوير أدبنا شعره ونثره شكلا وموضوعا وأسلوبا ، وتطوير ألحاننا وأغانينا ، وتطوير زينا نساء ورجالا ، وتطوير قيمنا ومثلنا الأخلاقية والاجتماعية ، وتطوير تشريعنا بل تطوير إسلامنا نفسه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من أجل النظر فى هذا كله وقرن بعضه إلى بعض عرف أن أصل هذه الفروع واحد. وأن روح الدعوة فيها جميعاً واحدة ، وأن أصحابها لا يقنعون إلا بقطع كل ما يربطنا بإسلامنا وعروبتنا وشرقيتنا من وشائج وصلات . عند ذلك نفقد طابعنا الذى يميزنا بوصفنا جماعة أو قوما أو أمة . وإذا فقدنا طابعنا فقدنا كياننا ، وفقدنا القدرة على التكتل والتجمع وأصبح من اليسير على الشرق أو الغرب أو كائنا من كان من خلق الله أن يلحقنا به ويجعلنا تابعين له ندور فى فلكه ونسبح بحمده من دون الله .

والقائمون على ترويج هذه الدعوات كالجراثيم ، تكمن حين تأنس من الجسم مقاومة حتى يظن المريض أن الداء قد ذهب عنه ، ولكنها تتحصن فى واقع الأمر حتى تجد فرصة أخرى ملائمة للظهور فتثور . وقد نشط أصحاب هذه الدعوات فى السنوات الأخيرة ؛ لأنهم يعرفون أن الثورات هى أكثر الظروف ملاءمة لبث سمومهم ، إذ يلبسون ثياب الناصحين ويندسون فى غمار الثائرين الذين يريدون أن يستبدلوا بأسباب الضعف والفساد أسبابا للحياة والقوة والبناء ؛ كما يندس المخربون والمأجورون من عملاء العدو وسط جموع المتظاهرات يحطمون المصابيح ويحرقون المتشآت ، فيقلدهم غيرهم فى صنيعهم دون تمييز بين ما يصلح تحطيمه وما يضر تحطيمه .

بقى بعد ذلك كله أن أشير إشارة موجزة إلى مصدر هذه الدعوة ، كيف بدأت ومن أين ثارت ، فقد يعين ذلك على تقديرها وعلى تصور ما ننطوى عليه من الصدق والإخلاص والبراءة من الهوى .

لم يسمع لداع بهذه الدعوة صوت قبل القرن الأخير . وكل ما كان قبل ذلك من إشارة إلى العامية أو ما كان يسميه قدماء المؤلفين (خطأ العوام) فقد كان المقصود به تقويم اللسان والتنبيه إلى الخطأ ، لا الاحتفاء بألفاظ العامة وأساليبهم وتسجيلها والدعوة إلى معارضة لغة القرآن بها . فالدعوة لم تنشأ إلا فى ظل استعباد الغرب لبلاد العرب والمسلمين وفى حمايته من ناحية ، وفى حضانة التبشير من ناحية أخرى . ويكفى أن أذكر فى ذلك على سبيل الاختصار أسماء سبتا Wilhelm Spitta وفولارز K. Vollers وباول A. Powell وفيلوت D. C. Phillott وبوريان M. Bouriant وماسبيرو M. Gaston Maspero !

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الذين قادوا هذه الدعوة فى مصر منذ سنة ١٨٨٠ فظهر صداها فى صحيفة المقتطف الشهرية أولا سنة ١٨٨٢ (١) ثم انتقل إلى بقية السياسة .

جمع بعض هؤلاء المؤلفين أو الدعاة على الأصح - وكلهم ممن شغل وظائف عامة فى ظل الاحتلال الإنجليزى لمصر - طائفة من الحكايات المتداولة بين طبقات العمال والكادحين فى مصر ممن لم يصيبوا حظا من التعليم ، ونادوا باتخاذ اللهجة التى كتبت بها هذه الآثار لغة للتدوين والتأليف والأدب الرفيع . ووضع بعضهم الآخر كتباً استنبط فيها قواعد للهجة مصر العامية - وقد اقتصر معظمهم على لهجة القاهرة - محاولا إقناع المصريين بأن لهجتهم هذه لها كل مقومات اللغة الراقية . ولاك الناس كلامهم من بعد ، فردده كل ببغاء وكل بوق وكل سمسار وكل فاسد العقيدة مزعزع الإيمان . وليس فى كلام هؤلاء جميعا على اختلاف طبقاتهم ودرجاتهم - من لطفى السيد وحزبه إلى طه حسين وشيعته - فكرة جديدة . فكل ماقالوه وما يقولونه ترديد لما قاله هؤلاء . حتى الذين أكثروا من الكلام فيما سموه (الأدب الشعبى) وادعوا أنهم جمعوا فيه ما جمعوا من آثار لم يكونوا إلا ناقلين مما جمعه أمثال ماسبيرو وبوريان . بل لقد اعتمدوا عليهم فى تصنيف ما جمعوه وفى ترتيبه وتبويبه أيضاً . ولولا خشية الإطالة وضيق المقام لأوردت النصوص التى تثبت ما أقول .

وبعد ، فقد وعد الله سبحانه أن يحفظ قرآنه ، إذ قال وقوله الحق (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) . وهل يكون حفظه إلا بحفظ لغته ؟ وإنى لأعرف أن الهدامين من الإنس والجن أضعف كيداً من أن ينقضوا ماقضاه الله سبحانه . وإنما أقول ما أقول إبراءاً للذمة ، واغتناما للأجر . وخضوعا لسنة الله الذى يضرب الحق والباطل ، والذى ألزم أهل الإيمان محاربة أهل الكفر والضلال ومكافحتهم ليبلو بعض الناس ببعض . وإنما هو قضاء سبق فى علم الحكيم العليم وتقديره ، يشقى به المفسدون ومن تبعهم - وبعملهم يشقون - ويسعد به من هداهم الله للذود عن الحق والمناضلة عن الدين ، فى يوم يتبرأ فيه أئمة الشر من تبعوهم ، ويقول الذين اتبعوهم (لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا . كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم . وما هم بخارجين من النار) .

محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة الإسكندرية

---

(١) صلة فارس نمر صاحب المقتطف بالاحتلال الإنجليزى مشهورة معروفة . وقد كان المستر سمارت مستشار السفارة الإنجليزية - أو دار المندوب السامى كما كانت تسمى وقتذاك - زوجا لابنته .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نقد كتاب

« أضواء على السنة المحمدية »

(٣)

ذكر المؤلف فى ص ٨ أنه بعد أن لبث زمنا طويلا يبحث وينقب بعد أن أخذ نفسه بالصبر والأناة ؟ انتهى إلى حقائق عجيبة ونتائج خطيرة « ذلك أنى وجدت أنه لا يكاد يوجد فى كتب الحديث (كلها) مما سموه صحيحا أو ما جعلوه حسنا - حديث - قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبه كما نطق به الرسول ... وقد يوجد بعض ألفاظ مفردة بقيت على حقيقتها فى بعض الأحاديث القصيرة وذلك فى القلة والندرة ، وتبين لى أن ما يسمونه فى اصطلاحهم حديثا صحيحا إنما كانت صحته فى نظر رواته لا أنه صحيح فى ذاته » .

وقد بلغ المؤلف الغاية فى المجازفة فى الحكم ، ونحن لا نقول : إن الأحاديث كلها رويت بألفاظها وكيف ؟ وقد ثبت أن القصة الواحدة أو الواقعة رويت بألفاظ مختلفة وإن كان المعنى واحدا ، ولا نقول : إن الأحاديث كلها رويت بالمعنى - كما زعم - وكيف ؟ ومن الأحاديث ما اتفقت الروايات على لفظها ، أفلا يدل اتفاق الروايات على اللفظ أن هذا حقيقه اللفظ المسموع من الرسول ؟ ومن الأحاديث ما لا يشك متذوق للبلاغة أنها من كلام أفصح العرب ، وأنها لن تخرج إلا من مشكاة النبوة ، ومن قبل أدرك أئمة فى اللغة والبيان هذه الحقيقة فألفوا الكتب فى البلاغة النبوية .

ومما ينبغى التنبه إليه أن أكثر ما ترد الرواية باللفظ فى الأحاديث القصيرة ، على أن ورود الرواية بالمعنى فى الأحاديث الطويلة إنما تكون فى الكلمة والكلمتين والثلاث ، وقلما تكون الرواية بمعنى فى جميع ألفاظ الحديث ، وهذا شىء نقوله عن دراسة واستقراء . وليس أدل على ذلك من أن حديث بدء الوحى المروى عن السيدة عائشة فى الصحيحين وغيرها - وهو من الأحاديث الطويلة - لا تكاد تجد الرواة اختلفوا فيه إلا فى بعض ألفاظ قليلة نادرة . وبحسبنا هذا الآن ، وعند مناقشته فى بحث الرواية بالمعنى الذى عقده فى كتابه سأفيض فى الرد عليه ، وسأبين أن بعض ما استدل به هو دليل عليه لا له ، وإليك ما قاله

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى هذا الشأن إمام من أئمة الحديث ـ غير مدافع ـ وهو الحافظ ابن حجر قال « ومن أمثلة جوامع الكلم من الأحاديث النبوية حديث عائشة « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » . وحديث « كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل » متفق عليهما ، وحديث أبى هريرة « وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وحديث المقداد « ما ملأ ابن آدم وعاءا شرا من بطنه » الحديث أخرجه الأربعة وصححه ابن حبان والحاكم ، إلى غير ذلك مما (يكثر) بالتتبع ، وإنما يسلم ذلك فيما لم تتصرف الرواة فى ألفاظه ، والطريق إلى معرفة ذلك أن تقل مخارج الحديث وتتفق ألفاظه (١) » .

وأزيد على ما ذكره الحافظ حديث « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » وحديث « الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة » وحديث « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وحديث « ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم » الخ . وحديث « وهل يكب الناس فى النار إلا حصائد ألسنتهم » ، وحديث « إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم » ، وحديث « الحياء من الإيمان » إلى غير ذلك من الأحاديث المتكاثرة التى جاءت على حقيقة لفظها ومحكم تركيبها .

أما ما ادعاه من أنه تبين له أن ما سموه صحيحا إنما هو فى نظر رواته لا أنه صحيح فى ذاته ، فشىء سبق به من ألف سنة أو تزيد فقد قال أئمة الحديث : أن الحكم على الحديث بالصحة أو الحسن أو الضعف إنما هو بحسب ما ظهر للإمام المحدث من تحقق شروط الصحة أو الحسن أو عدم تحققها ، وليس المراد أنه صحيح أو حسن أو ضعيف فى الواقع ونفس الأمر ، إذ لا يعلم ذلك يقينا إلا علام الغيوب ، وأنه يجوز ـ عقلا ـ أن يكذب الصادق ويصدق الكذوب ، وهذا التجويز العقلى دعاهم إليه التعمق فى البحث والتأنى فى النظر والتثبت فى الحكم وبلوغ الغاية فى النصفة .

* * *

قال فى ص (١٠) : ولو أن الحديث دون فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم كما دون القرآن واتخذ له من وسائل التحرى والدقة ما اتخذ للقرآن لجاء كله (متواترا) كذلك . ولما اختلف المسلمون فيه هذا الاختلاف الشديد الخ ما قال .

---

(١) فتح البارى ج ١٣ ص ٢١١ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكأن المؤلف منهم أن السبب فى تواتر القرآن كونه كتب فى العصر النبوى ، والحق خلاف ذلك . فالتواتر إنما جاء فى القرآن الكريم من جهة لفظه ونقله ، فقد تلقاه عن النبى صلى الله عليه وسلم وحفظه الألف من الصحابة ، وعن هؤلاء أخذه الألوف المؤلفة من التابعين ، وهكذا تلقاه العدد الكثير الذى يثبت بهم التواتر عن العدد الكثير حتى وصل إلينا متواترا وسيستمر كذلك حتى يرث الله الأرض وما عليها ، فالمعول عليه فى تواتر القرآن هو الحفظ والتلقى الشفاهى لا الأخذ من الصحف ، أما الكتابة فقد كانت من دواعى الثبوت والحفظ ليجتمع للقرآن الوجودان : الوجود فى الصدور ، والوجود فى الصحائف والصدور ، كما كانت معتمد الجامعين للقرآن فى الصحف والمصاحف فى عهدى أبى بكر وعثمان رضى الله عنهما ، فقد كانوا حريصين أن يكتبوه من عين ما كتب بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ، ولو أن السنة دونت فى العهد النبوى ولكن لم يحفظها من يتم بهم التواتر لما جاءت كلها متواترة - كما زعم -[1] فالعبرة فى التواتر وعدمه إنما هو رواية الكثيرين أو عدم روايتهم . ومع أن السنة لم تدون فى العصر النبوى فقد جاء بعضها متواترا ، وإن كان قليلا ، ولو أن المعول عليه فى التواتر الكتابة لكانت الكتب التى دونت وأحيطت بالعناية والدقة كلها متواترة وأنى هى ؟ .

* * *

ذكر فى ص (١٧) أنهم جعلوا السنة القولية فى الدرجة الثانية أو الدرجة الثالثة من الدين وأنها تلى القرآن فى المرتبة ، وبعد أسطر قال : وأما الذى هو فى الدرجة الثانية من الدين فهو السنة العملية ، ومفهومه أن السنة القولية ليست فى الدرجة الثانية . ولا ندرى ما منشأ هذا الاضطراب وعدم الثبوت على رأى حتى خالف عجز كلامه صدره ؟ !! ثم ساق كلام الإمام الشاطبى فى الاعتصام وليس فى كلام الشاطبى ما يشهد للتفرقة بين السنة القولية والعملية ، بل دل كلام الشاطبى على أن المراد بالسنة القول والفعل والتقرير ، ثم نقل السيد رشيد رضا قوله « والعمدة فى الدين كتاب الله تعالى فى المرتبة الأولى والسنة العملية المتفق عليها فى المرتبة الثانية ، وما ثبت عن النبى وأحاديث الآحاد فيها رواية ودلالة فى الدرجة الثالثة ، ومن عمل بالمتفق عليه كان مسلما ناجيا فى الآخرة مقربا عند الله تعالى وقد قرر ذلك الغزالى » .

---

(١) عرف العلماء المتواتر بأنه ما رواه جمع يحيل العقل تواطؤهم على الكذب ، وقالوا : إنه يفيد العلم اليقينى ، والآحاد ما ليس كذلك .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فها أنت ترى أن ما نقله ليس فيه مايشهد لمااضطرب فيهمن كلامه ، والذى عليه المحققون أن السنة ـ قولا وعملا وتقريرا ـ هى الأصل الثانى ، والأصل الأول هو الكتاب » على أن ما ذكره السيد رشيد وجعله فى المرتبة الثانية هو السنة العملية المتفق عليها لامطلق سنة عملية ومثل هذا كان فى حاجة إلى تحرير ، لا أن يدع القارئ فى مهمه من الشك والاضطراب .

فى ص (٢٩) تحت عنوان « الصحابة ورواية الحديث » قال : وفى رواية ابن حزم فى الأحكام أنه حبس ابن مسعود وأبا موسى وأبا الدرداء فى المدينة على الإكثار من الحديث .

وقد تجنى المؤلف على الحقيقة ، وابن حزم ما تجنى . فقد أوهم القارئ أن ابن حزم رواه ، وليس من روايته قطعاً ، وإنما ذكره فى كتابه ، وفرق بين الذكر والرواية كما يعلم ذلك المبتدئون فى علم الحديث ، وأوهم القارئ أيضاً أنه ارتضاه ، وابن حزم برىء منه ، وإنما زيفه وبين بطلانه ، وإليك ما ذكره ابن حزم فى الأحكام [١] : « وروى عن عمر أنه حبس ابن مسعود من أجل الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وأبا الدرداء وأبا ذر » . فقد ذكره بصيغة « روى » الدالة على التضعيف ، ولو كان من روايته لقال : وروينا ؛ وقد طعن ابن حزم فى الرواية بالانقطاع لأن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف روايه عن عمر لم يسمع منه ، والمنقطع من قبيل الضعيف لا يحتج به ؛ لجواز أن يكون البلاء فى الرواية من المحذوف وأنه هو الذى اختلقها . ثم قال ابن حزم [١] : « إنه ـ أى الخبر ـ فى نفسه ظاهر الكذب والتوليد ، لأنه لا يخلو عمر من أن يكون اتهم الصحابة وفى هذا ما فيه ، أو يكون نهى عن نفس الحديث وعن تبليغ السنن وألزمهم كتمانها وحجدها وهذا خروج عن الإسلام ، وقد أعاذ الله أمير المؤمنين من كل ذلك . وهذا قول لا يقوله مسلم أصلا ، ولئن كان حبسهم وهم غير متهمين لقد ظلمهم فليختر المحتج لمذهبه الفاسد بمثل هذه الروايات المطعونة أى الطريقتين الخبيثتين شاء » . هذا ما قاله ابن حزم ، فهل بعد هذا يزعم المؤلف لنفسه الأمانة فى النقل ؟ ! ولو أن القارئ المتثبت تشكك فيما ينقله هذا الرجل عن العلماء ألا يكون معذورا ؟ ؟ ومن دواعى تزييف الرواية أن ابن مسعود كان يتبع

---

[١] الأحكام ج ٢ ص ١٣٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مذهب عمر وطريقته ، وكان يقول : لو سلك الناس وادياً وشعباً وسلك عمر وادياً وشعبا لسلكت وادى عمر وشعبه . وقد أرسله عمر إلى الكوفة ليعلم أهلها ، وقال لهم : لقد آثرتكم بعبد الله على نفسى . فكيف يعقل أن يخالف عمر فى التقليل من الرواية ؟ وكيف يعقل من عمر أن يحبسه ؟ ؟

ثم كيف غفل المؤلف عن هذا النقد للمتن وهو الذى أبحى على المحدثين باللائمة لأنهم أغفلوا جميعاً نقد المتن ، وأنه هو الذى جاء ـ فى نقـــد المتون ـ بما لم يبلغه الأوائل مما زعمه نقداً ـ والله أعلم ـ أنه تهجم وتطاول ؟ ؟ ! ! !

بل كيف غفل المؤلف عما يناقض هذا وهو ما ذكره بعد صحيفة واحدة فى ص (٣١) عن عمر بن ميمون قال : اختلفت إلى عبد الله بن مسعود سنه فما سمعته فيها يحدث عن رسول الله ولا يقول : قال رسول الله . وانه حدث ذات يوم بحديث فعلاه الكرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبينه ؟ وهل يليق به ـ وقد زعم أنه شيخ النقاد ـ أن يأتى بروايات تناقض أولها آخرها وآخرها أولها من غير أن يعرض لبيان مفصل الحق فيها ؟

السر فى هذا يا أخى القارى أن المؤلف يأخذ ما يشاء بهواه ، ويدع ما يشاء بهواه ، وأنه خطف هذا الكلام خطفا من كلام بعض المستشرقين [١] الذين يتتبعون شواذ الروايات ومنحو لها ، ونسبه إلى ابن حزم كى يضفى عليه شيئاً من القبول .

وفى ص ٣٧ عرض لحديث « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وذكر ما قاله الحافظ ابن حجر من ورود الحديث فى بعض رواياته بدون « متعمداً » ، وفى بعضها بذكرها فى الصحيحين وغيرهما ، ثم قال : ولكن من حقق النظر وأبعد النجعة فى مطارح البحث يجد أن الروايات الصحيحة التى جاءت عن كبار الصحابة ومنهم ثلاثة من الخلفاء الراشدين لم تكن فيه تلك الكلمة « متعمداً » ، وكل ذى لب يستبعد أن يكون النبى قد نطق بها . . ولعل هذه اللفظة قد تسللت إلى هذا الحديث من طريق الإدراج المعروف عند العلماء ليسوغ بها الذين يضعون الحديث على رسول الله حسبة ـ من غير عمد ـ أو يتكئ عليها

---

[١] أنظر كتاب « نظرة فى تاريخ الفقة الإسلامى » ص ٧١ لترى أنه خطف هـذه الرواية المدسوسة من غير تثبت وتحر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الرواة فيما يروونه عن غيرهم على سبيل الخطأ أو الوهم أو بسوء الفهم لكى لا يكون عليهم حرج فى ذلك ، لأن المخطئ غير مأثوم : وهكذا نجده لا يقتنع بما قاله الحافظ الكبير ابن حجر ليطلع علينا بهذه الفروض والتمحلات ! ! !

وإليك بيان مفصل الحق فى هذا :

١ — روى هذا الحديث من طرق متكاثرة عن كثير من الصحابة فى الصحيحين وغيرهما ، حتى قد أوصلها بعض المحدثين إلى المائة ما بين صحيح وحسن وضعيف ، والحق أن الحديث روى بهذا اللفظ من طرق تصل به إلى درجة المتواتر ، كما حقق ذلك الحافظ فى الفتح [١] . وأما وصول طرقه إلى هذا العـــدد الضخم فذلك فيما ورد فى مطلق ذم الكذب على النبى لا فى هذا اللفظ بعينه ولا فى خصوص هـذا الوعيد ، ثم إنه لم يصح عن أحد من الخلفاء إلا عن على فى الصحيحين وعن عثمان فى غير الصحيحين ، لا عن ثلاثة من الخلفاء كما زعم المؤلف [٢] ، وقد جاءت كلمة « متعمداً » فى أغلب روايات الصحيحين [٣] وغيرهما من الكتب المعتمدة وطرق ذكرها أكثر من طرق تركها وأقوى ، فقد وردت فى الصحيحين عن أنس وأبى هريرة والمغيرة بن شعبه وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ولم ترد فى رواية على ولا الزبير بن العوام . والقاعدة عند نقاد الحديث وغيرهم أنه إذا تعارضت الروايات رجح الأكثر والأقوى ، وهنا ترجح روايات ذكر اللفظ ويحمل المطلق على المقيد . ومن دواعى ترجيح الزيادة أنها جاءت عن الزبير بن العوام فى مستخرج الإسماعيلى وفى سنن ابن ماجة [٤] ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ، كما أن الزيادة جاءت فى رواية عبد الله ابن عمرو بن العاص وكان قارئاً كاتباً — كما فى الصحيح — فروايته أوثق من غيره .

٢ — ما زعمه من أن هذه الكلمة وضعت ليسوغ بها الخ غير معقول ، ولا أدرى — ولا أحد يدرى — كيف يجتمع الوضع حسبة مع عدم التعمد ؟ إن معنى الحسبة أن يقصد الواضع وجه الله وثوابه وخدمة الشريعة — على حسب زعمه — بالترغيب فى فعل الخير

---

[١] ج ١ ص ١٦٤ وما بعدها .

[٢] المرجع السابق فقد سرد فيه أسماء من روى عنهم من الصحابة بطريق صحيح أو حسن .

[٣] صحيح البخارى ، كتاب العلم ، باب إثم من كذب على النبى صلى الله عليه وسلم ، صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ١ ص ٦٥ — ٧٠ .

[٤] فتح البارى ، ج ١ ص ١٦٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والفضائل ، وهم قوم من جهلة الصوفية والكرامية جوزوا الوضع فى الترغيب والترهيب ، فكيف يجامع قصد الوضع عـــدم التعمد ؟ ! ! وتفسير الحسبة بأنها عن غير عمد غير مقبول ولا مسلم .

وأما تجويزه أنها أدرجته ليتكئ عليها الرواة الخ فمردود . ذلك أن رفع إثم الخطأ أو السهو ليس بهذه الكلمة وإنما ثبت بأدلة أخرى وقد تقرر فى الشريعة أنه لا إثم على المخطئ والناسى ما لم يكن بتقصير منه ، فذكر الكلمة لا يفيد هؤلاء الرواة شيئاً ما دام هذا أمرا مقررا ، والسر فى ذكرها أن الحديث لما رتب وعيداً شديداً على الكذب ، والمخطئ والساهى والناسى لا إثم عليهم ، كان من الدقة والحيطة فى التعبير التقييد بالعمد وذلك لرفع توهم الإثم على المخطئ والغالط والناسى ، قال الإمام النووى فى شرحه على مسلم (١) « وأما الكذب فهو عند المتكلمين من أصحابنا : الإخبار عن الشىء على خلاف ما هو عليه عمداً كان أو سهواً ، هذا مذهب أهل السنة . وقال المعتزلة : شرطه العمدية . ودليل خطاب هذه الأحاديث لنا فإنه قيده عليه السلام بالعمد لكونه قد يكون عمداً وقد يكون سهواً ، مع أن الإجماع والنصوص المشهورة فى الكتاب والسنة متظاهرة على أنه لا إثم على الناسى والغالط فلو أطلق عليه السلام الكذب لتوهم أنه يأثم الناسى أيضاً فقيده . وأما الروايات المطلقة فمحمولة على المقيدة بالعمد والله أعلم » .

على أن أئمة الحديث وإن قالوا برفع الإثم عن الخاطئ والناسى والغالط ، فقد جعلوا ما ألحق بالحديث غلطا أو سهوا أو خطأ من قبيل الشبيه بالموضوع فى كونه كذبا فى نسبته إلى الرسول ، ولا تحل روايته إلا مقترنا ببيان أمره ، وإلى هذا ذهب الخليلى وابن الصلاح والعراقى وغيرهم (٢) ، وقد اعتبره بعض أئمة الجرح - كابن معين وابن أبى حاتم - من قبيل الموضوع المختلق ، وذهب بعض الأئمة إلى أنه من قبيل المدرج ، ومهما يكن من شىء فقد جعلوا هذا النوع من الغلط أو الوهم مما يطعن فى عدالة الراوى وضبطه .

٣ — من عجيب أمر هـــذا المؤلف أنه يتبع طريقة « لا تقربوا الصلاة » ويترك « وأنتم سكارى » ، وقد رأيت آنفا ما صنعه فيما نقله عن ابن حزم من حبس عمر رضى الله عنه لثلاثة من كبار الصحابة على التحديث ، وقد صنع هنا فى حديث (من كذب على معتمداً الخ)

---

[١] ج ١ ص ٦٩ .

[٢] مقدمة ابن الصلاح بشرح العراقى ص ١١٠ .

أبو ذر الفاضلي /مكتبتنا العربية

مثل ما صنع سابقا ، فقد نقل عن الحافظ ابن حجر أنه لا يرى تواتر حديث من كذب على الخ حيث قال - في ص ٤٢ - « ولأجل كثرة طرقه أطلق عليه (جماعة) أنه (متواتر) ونازع بعض مشايخنا في ذلك ؛ لأن شرط المتواتر استواء طرفيه وما بينهما في الكثرة ، وليست موجودة في كل طريق منها » . واقتصر على هذا القدر ، وقد ترك ما ذكره الحافظ عقب هذا وهو ما نصه [1] بالحرف الواحد « وأجيب بأن المراد بإطلاق كونه متواترا رواية المجموع عن المجموع من ابتدائه إلى انتهائه في كل عصر ، وهذا كاف في إفادة العلم ؛ وأيضاً فطريق أنس وحدها قد رواها عنه العدد الكثير وتواترت عنهم ، نعم وحديث علي رواه عنه ستة من مشاهير التابعين وثقاتهم .

وكذا حديث ابن مسعود وأبي هريرة وعبدالله بن عمر . فلو قيل في كل منها : إنه متواتر عن صحابيه لكان صحيحا ، فإن العدد المعين لا يشترط في المتواتر ، بل ما أفاد العلم كفى ، والصفات العلية في الرواة تقوم مقام العدد أو تزيد عليه كما قررته في نكت « علوم الحديث » وفي شرح « نخبة الفكر » وبينت هناك الرد على من ادعى أن مثال المتواتر لا يوجد إلا في هذا الحديث ، وبينت أن أمثلته كثيرة منها حديث (من بنى لله مسجدا) والمسح على الخفين ، ورفع اليدين ، والشفاعة ، والحوض ، ورؤية الله في الآخرة ، والأئمة من قريش وغير ذلك . والله المستعان » .

والظاهر أن قوله وأيضاً الخ ، من كلام الحافظ لا من نقله . فهل بعد هذا الكلام الصريح الذي تعمد المؤلف تركه يزعم أن الحافظ ابن حجر لا يقول بتواتره كما هو مفهوم كلامه ؟ ! ! أما ما ذكره في حاشية ص ٣٩ من أن أدعياء السنة وعبيد الأسانيد في عصرنا لا يزالون يكابرون في إثبات الزيادة وكأنهم أعلم بالحديث من ابن قتيبة والبخاري والنسائي والمنذري والخطابي وابن حجر وابن القيم والسيوطي وغيرهم » فهراء لا أرد عليه ، ولكني أقول له : ألا تستحي من ذكر البخاري وهو الذي خرج الزيادة في أكثر رواياته ؟ بل ومن ذكر الحافظ ابن حجر الذي أفاض في بيان ثبوتها ؟ وصدق النبي الحكيم حيث يقول : (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما تشاء) ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين

---

[1] ج ١ ص ١٦٤ ط الأزهرية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هل من جديد

فى تأليف السيرة النبوية ؟؟

يحتفل المسلمون فى شتى أقطارهم بذكرى مولد رسولهم ، وهى ذكرى توجهنا إلى سيرة الرسول الكريم وحظها من الدراسة والعلم ، فضلا عن الاقتداء والاتباع .

وكتب السيرة التى بين أيدى الناس متعددة منها القديم والجديد ، ومن أشهر القديم مغازى الواقدى (المتوفى ٢٠٧ أو ٢٠٩ هـ) ، وسيرة ابن هشام (المتوفى ٢١٨ هـ) ، وطبقات ابن سعد (المتوفى ٢٣٠ هـ) وكل هذه الكتب من أقدم ما كتب فى السيرة ، وقد أعقبتها تآليف أخرى مثل جوامع السيرة لابن حزم (المتوفى ٤٥٦ هـ) وإمتاع الأسماع للمقريزى (المتوفى ٨٤٥ هـ) . فضلا عما استهل به المؤرخون المسلمون تآليفهم فى التاريخ الإسلامى العام من فصول فى السيرة ، تقرأها فيما كتبه الطبرى وابن الأثير ... الخ ثم شهدت المكتبة الحديثة مؤلفات متعددة فى السيرة النبوية ، منها ما كتبه علماء المسلمين بالعربية وغيرها من اللغات الشرقية ، ومنها ما كتبه علماء المشرقيات من الأوربيين بلغاتهم .

* * *

وللسيرة النبوية مكانها الممتاز من الدراسات الإسلامية ، إذ لها أهميتها الشرعية « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » ، ولها أهميتها التاريخية كمنهج داعية ، وخطة دعوة ، وسياسة دولة .

ولقد تأثر التأليف فى السيرة النبوية منذ أقدم عهوده بظروف معينة ، تعرض لها تدوين التاريخ الإسلامى عموما ، من ذلك ارتباط التأليف التاريخى بمنهج الرواية فى الحديث التى تستدعى بصراً ثاقبا بالرواة والمرويات يؤهل للتعديل والتجريح ، ومن ذلك انصراف معظم الجهود للفصل فى إسناد (أحاديث الأحكام) التى يحتاج إليها المسلمون فى عباداتهم ومعاملاتهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وترك حقل (الإخباريات) بكراً يتطلب الجهود فى تمحيص المادة الخام المتخلفة من عديد الروايات ، والاهتداء بعلم الرجال فى الحكم على ما نأخذه وما ندعه من الأخبار المتباينة .

لذلك يحتاج التاريخ الإسلامى عموما ـ والسيرة النبوية جزء منه ـ إلى مناقشة وعرض على الأسس العلمية التى اتبعها نقاد الحديث ، والغريب أن بعض المستشرقين قد انتبهوا إلى ذلك فى حين فات هذا كثيراً من المسلمين . والمستشرق الألمانى يوليوس فلهاوزن يقول فى مقدمة كتابه عن الدولة العربية الذى نشرت ترجمته مؤخراً فى مصر بين مطبوعات الألف كتاب ـ وتاريخ المقدمة يرجع إلى ١٩٠٢ م ـ « إن الروايات القديمة المتعلقة بعصر بنى أمية توجد حتى اليوم على أوثق ما تكون عليه عند الطبرى ... » ثم يناقش المؤلف رواة الطبرى ويقول عن أبى مخنف « ... وسلسلة الرواة الذين يذكرهم هى دائما قصيرة جداً ، وهى أخيرا تنكمش انكماشا تاماً نظراً إلى أن المسافة التى تفصل بينه وبين الأحداث التاريخية التى روى أخبارها كانت لا تزال تقصر شيئا فشيئا ، هذا إلى أن سلسلة الرواة تتنوع بحسب اختلاف الأحداث وتنوع الروايات الخاصة بها ، بحيث نجد أمامنا طائفة كبيرة جداً من أسماء رواة نجهلهم جهلا تاما ... وكيف كان يمكن أن يسلك أبو مخنف فيما كتب طريقا غير الذى سلكه ؟ فلم تقدم له المصادر المكتوبة مادة كبيرة يستطيع أن يعتمد عليها ، وهو قد انتفع بها ما كانت فى متناول يده ، ولكن من غير أن يجتهد فى البحث عنها وفى جعلها أساساً على نحو منظم ، وأهم ما صنع من حيث تقدير قيمة الروايات هو أنه جمع طائفة كبيرة من روايات متنوعة ومن أخبار عن الشىء الواحد مختلفة فى مصادرها ، بحيث يستطيع الإنسان أن يوازن بينها ويعرف الصحيح المؤكد منها من غيره ... » ا . هـ

هذا كلام أجنبى عن لغة العرب وثقافتهم ، يلقى العنت فى فهمها وهضمها وتذوقها ، أما مؤلفونا العرب فما أكثر ما ينقلون دون أن يكلفوا خاطرهم تحقيق رواية أو تمحيص سند ، وكثير منهم قد لا يعرفون (حكاية الرواية والإسناد) على وجه الإطلاق . والذى يرى ما تكبده مستشرق مثل بروفنسال فى تحقيق كتب أنساب العرب ـ مثل كتابى ابن حزم وأبى عبد الله الزبيرى اللذين نشرتهما دار المعارف فى مصر ـ يتبين كم نحتاج من عزم وعلم وأمانة لنتبين تاريخ أسلافنا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وتاريخ السيرة النبوية يرجع فى أقدم مصادره الموجودة إلى ابن اسحق (المتوفى حوالى سنة ١٥٢ هـ) وهو الذى أخذ عنه ابن هشام . كما يرجع إلى الواقدى الذى أخذ عنه كاتبه ابن سعد فى كتابه (الطبقات) .

والذى يقرأ ما تناقلته الآراء عن ابن اسحق والواقدى ، يجد أن منزلتهما بين الرواة ليست كمنزلة رجال الحديث ، ويجد أن (السيرة) ما زالت تحتاج إلى جهود كثيرة فى جمع المادة التاريخية من مصادرها الوثيقة ، فضلا عن تحليلها وتركيبها .

فقول الروايات عن ابن اسحق « وقد عاداه فى المدينة عالمان كبيران : هشام بن عروة ابن الزبير ، ومالك بن أنس . وكان ابن شهاب الزهرى وغيره يثنون عليه ، وقد اتهم بالتشيع والقول فى القدر » .

ولما رحل إلى العراق اختلف العلماء فيه هناك كما اختلفوا فيه فى المدينة من مجرح ومعدل ، وقد عقد الخطيب البغدادى فصلا طويلا حكى فيه الأقوال التى قيلت له والتى قيلت عليه ، ولم يحكم بينها كعادته ، ووقف بعضهم فى ذلك موقفا وسطا فقالوا : إن سعة علمه لا تنكر ، وإنه لم يكن كاذبا ، ولكنه كان قدريا وكان يتشيع ، وكان لا يتقيد بالقيود الكثيرة التى لا يتقيد بها ثقات المحدثين ، فيقول فيه ابن حنبل « كان رجلا يشتهى الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها فى كتبه » والمحدثون لا يرضون هذا ويشترطون السماع ، و « كان يحدث عن جماعة بالحديث الواحد ولا يفضل ذا من ذا » والمحدثون يكرهون ذلك ويشددون فى نسبة كل جزء من الحديث إلى قائله » . . . ونكتفى بهذه المآخذ العلمية التى أجملها صاحب (ضحى الإسلام) نقلا عن المراجع التاريخية .

وتقويم (ابن اسحق) كراوية أمر شديد الأهمية فى دراسة السيرة ، إذ هى منهل توارد عليه مؤرخو السيرة ، فسيرة ابن هشام - وهى مصدر له خطره فى هذا الباب - مستمدة مما رواه ابن اسحق ، وكذلك الحال فى سيرة ابن حزم . يقول محققا السيرة الأخيرة - الدكتوران إحسان عباس وناصر الدين الأسد - فى تقديم الكتاب « ويدلنا البناء العام لكتاب السيرة على أن ابن حزم يتكئ كثيراً على سيرة ابن اسحق وخاصة حين أخذ فى الحديث عن غزوات الرسول واحدة واحدة ، وعد فى كل غزوة أسماء من شهدها من

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المسلمين والمشركين وأسماء من استشهد من المسلمين . حتى إن شدة اتباعه لرواية ابن اسحق في هذه المواطن لتطلعنا على ظاهرة عجيبة ، فقد حافظ ابن حزم على النسب الكامل لأكثر من ذكرهم من الأشخاص ، وليس هذا مما يستغرب منه وهو صاحب (الجمهرة في الأنساب) ، إنما الغريب حقا أنه في السيرة اختار رواية ابن اسحق نفسه في النسب بينما لم يأخذ بها في الجمهرة ، فلعله ألف الكتابين في فترتين متباعدتين ، أو لعل مصادره في الجمهرة كانت كتبا أخرى . . . » .

وأما الواقدي فيجمل الآراء فيه صاحب الضحى فيقول : « وقد وقف في الواقدي المحدثون موقفهم من ابن اسحق من معدل ومجرح ، وحكى أقوالهم أيضا على اختلافها الخطيب البغدادي . فكان يثق به مالك ولا يثق بابن اسحق ، وكان يثق به محمد بن الحسن من الحنفية . ولقبه بعضهم بأمير المؤمنين في الحديث ، ويثق به ابن عبيد القاسم بن سلام اللغوي الشافعي ، كما كان يطعن عليه علي المديني ويقول « عند الواقدي عشرون ألف حديث لم يسمع بها » ويقول يحيى بن معين « أغرب الواقدي على رسول الله عشرين ألف حديث » وقال أحمد ابن حنبل : « الواقدي يركب الأسانيد » وقال الشافعي « الواقدي وصل حديثين » أي لا يصح أن يوصلا . . . والظاهر أن مطعن المحدثين عليه كمطعنهم على ابن اسحق : أنه يأخذ من الصحف والكتب ، وأنه كان يجمع الأسانيد المختلفة ويجيء بالمتن واحدا ، مع أن جزءا من المتن لبعض الرواة وجزءا آخر لرواة آخرين . . . » .

والواقدي هو مصدر ابن سعد ، لكن الأخير حظي من الخطيب البغدادي بهذا التقدير « محمد بن سعد عندنا من أهل العدالة ، وحديثه يدل على صدقه ، فإنه يتحرى في كثير من رواياته » .

* * *

لست أريد أن أفصل في قضية توثيق ابن اسحق أو الواقدي ، ففي الموضوع كلام كثير يستطيع من يتطلب هذا المقصد أن يراجعه في كتب التاريخ والتراجم ، وفي الأبحاث التي عقدها بعض المحققين في معرض تقديم طبعات حديثة من كتب السيرة القديمة ،

ولست أريد أن « أشوش » على قيمة المادة التاريخية الموجودة بيننا من سيرة الرسول ، بل إنني لأردد مع علامة الهند السيد سليمان الندوي « لقد شهدت الدنيا أصدق شهادة ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ثم ازداد ثبوتاً على الأيام بأن الإسلام لم يقتصر على حفظ سيرته صلى الله عليه وسلم ، بل توسع فى ذلك إلى ما يتعلق بها من كل النواحى وصان هذه الأمانة القدسية فلم تلمسها يد الضياع إلى درجة أن العالم كله يقف من ذلك موقف العجب والاستغراب ! » ،

ما السبيل إذن إلى هذه الكنوز المذخورة ، ومؤرخو السيرة يقال عنهم ما يقال ؟ .

يجب أن يعرف كل دراس للإسلام حقيقتين مهمتين فى هذا الصدد :

الحقيقة الأولى : أن كتب السيرة ليست هى المصدر الفرد الذى تنحصر فيه مادة السيرة التاريخية ، بل وليست هى أول المصادر وأهمها . فالسيرة مثبوثة فى كثير من آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول صحيحى البخارى ومسلم وغيرهما من دواوين الإسلام المعتبرة .

الحقيقة الثانية : أن هناك فارقا بين تدوين السيرة ـ وما فيه من مآخذ ـ وتدوين الحديث وما فيه من قواعد ضابطة مضبوطة : والعلمان وإن كانا يتعلقان بشخصية الرسول الكريم إلا أن ظروف التأليف فيهما ليست واحدة .

ولقد بذل الأستاذ محمد عزة دروزة جهداً طيباً فى كتابة السيرة معتمداً على نصوص القرآن الكريم أساساً وينبغى أن تتعدد المحاولات فى هذا الباب . كما ينبغى أن تبذل محاولات لكتابة السيرة بالاعتماد على ما ورد فى صحاح الأحاديث والسنن وهى المصدر الأول لها :

ولا يحسبن القارئ أن مادة السيرة التاريخية ستنضب مواردها إذا تركنا كتب السيرة المتداولة ـ وأنا لا أدعو إلى هذا الترك على كل حال ـ بل إننا سنجد ذخيرة موفورة فى كتب الحديث . ولو تأملنا كتابا للحديث كصحيح البخارى مثلا فإننا سنجد فيه كثيراً من الأبواب التى تتناول المادة التاريخية للسيرة النبوية من قريب أو بعيد مثل « بدء الوحى . فضائل المدينة . الجهاد والسير . المناقب . فضائل أصحاب النبى . مناقب الأنصار . المغازى . الفتن ، الأحكام . الخ » ، وسنجد المادة التاريخية مثبوثة فى تضاعيف بعض أبواب الأحكام نفسها فى الصلاة والأذان والجمعة وصلاة الخوف وصلاة العيدين وقصر الصلاة والزكاة والحج والصوم والنكاح بيان لمناسبات فرض هذه الأحكام مما يتعلق بالسيرة النبوية على وجه من الوجوه .

وكى أزيد القارئ بيانا وتبيينا سأضع أمام عينيه نموذجا تطبيقيا . وضع الأستاذ فلسنك معجما للكشف عن الأحاديث النبوية ومواضعها فى الكتب المعتمدة ، فلو فتحنا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية .

مادة (محمد صلى الله عليه وسلم) لوجدنا أحاديث صحيحة فى كتب السنة تدور حول كثير من موضوعات السيرة أقتطف منها ما يلى ليتبين القارئ غزارة المادة التى نصيبها لو اعتمدنا على كتب الحديث :

« نسبه ... لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله فيهم قرابة ... ولادته عام الفيل . الترتيب التاريخى للوقائع فى حياة الرسول ... ما حصل وقت ولادته ... رضاعه فى بنى سعد . شريك النبى فى الجاهلية فى التجارة . عنايته بشد إزاره وهو ينقل الحجارة مع عمه العباس . أشد ما لقى من قومه يوم عرض نفسه على ابن عبد ياليل . كيف ألقى سلى جزور على ظهره وهو ساجد ... الخ » .

ويطول بى الأمر لو أردت (عناوين) فقط استغرقت خمساً وعشرين صفحة من القطع الكبير ، وتحت هـــذه العناوين إشارات لأحاديث متعددة وردت فى كتب السنة تتناول الموضوعات التى تعبر عنها هذه العناوين ، هذا فضلا عن إحالات لموضوعات بحثت فى مواد أخرى غير مادة (محمـــد) التى نحن بصددها ، مثل (قريش ... الهجرة ... الشفاعة ... الحديبية ... فاطمة ... الخ) .

وعلماء السيرة يعرفون هذه الحقيقة البديهية ويوضحونها ، يقول علامة الهند سليمان الندوى فى محاضراته عن (الرسالة المحمدية) : « وأريد أن ألفت أنظاركم إلى المصادر التى أخذت عنها سيرة النبى وهديه ، وإن أهم ما فى سيرته وأوثقها هو ما اقتبس من القرآن الحكيم ، والمصدر الثانى كتب الحـــديث ، وهى كتب حفظت لنا من أقوال النبى وأفعاله وأحواله ما يبلغ مائة ألف حديث ، ومن الكتب المصنفة فى الحديث الكتب الستة الصحاح التى محص العلماء كل ما ورد فيها وذكروا شواهده ومتابعاته ، حتى لم يتركوا فى النفوس مزع ظفر لمحقق منصف بل ولا لمدقق جائر ، ويتلو الكتب الستة كتب المسانيد ... » وقد ذكر بعد ذلك كتب المغازى والتاريخ والدلائل والشمائل .

وبالنسبة لوفرة المادة التاريخية فى كنوز السنة يذكر الأستاذ الندوى « . . أما المحدثون الكرام من علماء المسلمين فقد جمعوا كل ماله علاقة بالنبى صحيحا كان أو سقيما ، وجعلوا لنقده قواعد وأصلوا لتحقيقها أصولا . وهم قد حفظوا شئون حياة النبى وأحواله وأخباره كلها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولم يتركوا أمراً من أموره ولا شأنا من شئونه إلا ذكروه ، حتى لقد وصفوه فى قيامه وجلوسه ونهوضه من النوم ، وهيئته فى ضحكه وابتسامته ، وعبادته فى ليله ونهاره ، وكيف كان يفعل إذا اغتسل وإذا أكل ، وكيف كان يشرب ، وماذا كان يلبس ، وكيف يتحدث إلى الناس إذا لقيهم ، وما كان يحب من الألوان ومن الطيب ، وما هى حليته وشمائله ، ووصفوا جسده الطاهر وصفا كاملا كأنك تراه . ووصفوا حياته العائلية من معاشرة الرجل أهله وحليلته ، وأتبعوا ذلك بذكر الطهارة من الغسل . . . وأستعرض لكم فهرسة أقدم كتاب فى الشمائل للترمذى ، لتعلموا كيف ضبط المسلمون أحوال النبى وأحصوا أخباره جليلها ودقيقها . . . الخ » وذكر المؤلف قائمة تشمل ٥٢ موضوعا وردت فى الشمائل للترمذى . وفى المكتبة الإسلامية نموذج من السيرة المعتمدة على السنة الصحيحة ، نقرؤها فى الكتاب النفيس « زاد المعاد فى هدى المعاد » للإمام ابن القيم . غير أن هذا الكتاب تمتزج فيه وقائع السيرة بأحكام الفقه ، مما لا يسد الحاجة لكتاب يتفرد لمعالجة السيرة على أساس من صحاح السنة .

وما مصير كتب السيرة المتداولة ؟ ؟ .

لست أدعو بحال لأن نطرح كتب ابن هشام أو الواقدى أو ابن سعد فى استخفاف وسذاجة ، وإنما أقول إن من شأن تحقيق وقائع السيرة على أساس من القرآن الكريم ، كما فعل الأستاذ دروزة فى كتابيه (عصر النبى قبل البعثة) و (سيرة الرسول) - ثم على أساس من السنة الصحيحة - كما نرجو أن يتم - فمن شأن هذا وذاك أن يقيم بين أيدينا ميزان الحق الذى نمحص به مرويات ابن إسحق والواقدى ومن أخذ عنهما إذا اضطربت أمامنا الروايات ، ولم نستطع القطع والترجيح . وليس الأمر مقصوراً على كتاب واحد فى هذا الاتجاه أو ذاك ، فكما أن للقرآن عدة تفاسير ، وللبخارى عدة شروح ، فلا حرج أن نقرأ عدة كتب تستقى السيرة النبوية من معين القرآن أو جداول الحديث ، ومن اجتهد فهو مأجور على كل حال .

وفقنا الله للإفادة من سيرة نبينا ورسالته ؟

فتحى عثمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التفسير العلمي للقرآن

إن الذي يدفعنا إلى الخوض في هذا البحث هو ما نراه بين ظهرانينا من الشعف المسرف في تأويل آيات القرآن الكريم بتوافق النظريات الحديثة . والتفنن في استنباط كل اختراع وابتكار من نصوصه ، ظانين أن هذا فتح جديد في التفسير ، وأسلوب مبتكر في الفهم ، وهم يحسبون أنهم بعملهم هذا يحسنون صنعاً ويسدون يداً للإسلام .

إن التفسير العلمي هو الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في فهم آيات القرآن ، ويجتهد في استخراج العلوم والآراء الفلسفية فيها بتحميل الألفاظ ما لم تعرفه العربية ولا يقره أسلوبها من قوانين طبيعية ونظريات كيميائية ورموز ومخترعات إلى غير ذلك من كل ما يمت بسبب إلى علم الطب والفلك وعلوم الحيوان والنبات .

انقسم العلماء بإزاء هذا النوع فريقين :

فريق أخذ بهذا الرأي واتسع فيه حتى جعل من القرآن إعجازاً علمياً باشتمالة على كل المخترعات والمستحدثات من طيارات وغواصات وقنبلة ذرية وأجهزة للتدمير وآلات للتخريب . ولو أدى ذلك إلى قطع الآية من أخواتها في السياق وسلخها مما قبلها وما بعدها ، مستدلين في ذلك بقوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » .

فانظر إليهم مثلا حيث يستدلون على حركة الأرض ودورانها بقوله تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب » . ناسين موقع الآية وسياقها . ولو قرءوا ما قبلها وما بعدها لعلموا أن هذا الوصف خاص بيوم القيامة ، قال تعالى : « ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين . وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون . من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون » . أرأيت إلى جملة الوصف فهو مشهد من مشاهد يوم القيامة . وقد تكرر هذا في وصف الجبال حيث قال تعالى : « يوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سيراً » ، « وإذا الجبال سيرت » ، « يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلا » إلى غير ذلك من الآيات .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهذا نقرر مبدأ للتفسير الصحيح وهو استقراء الآيات وتتبعها وجمعها كلها ما دامت تتكلم عن موضوع واحد ، ثم النظر إليها جملة فإذا هي أشعة يلقي بعضها ضوءاً على بعض فيبرز المعنى واضحاً صحيحاً . وهذا هو معنى قول القدماء : إن خير نوع من التفسير أن يفسر القرآن بعضه بعضا ، وهو منهج قد بدأ به صلوات الله عليه عند تفسيره لكلمة (الظلم) فيما رواه الشيخان والترمذى : لما نزلت : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » قال بعض الصحابة يا رسول الله وأينا لم يلبس إيمانه الظلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بذلك ، ألا تسمع إلى قول لقمان : « إن الشرك لظلم عظيم » .

مثال آخر من إسرافهم فى التأويل ، والشغف بإقحام الآيات وإخضاعها للنظريات الجديدة .

قال تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح » فيحملون وصف الرياح باللواقح على أنها لواقح للزرع والشجر ، وهذا منهم إغفال للنصف الثانى من الآية وهو : « فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » إذ لو كان ما ذهبوا إليه هو المراد لترتب عليه إزكاء الزرع وإخراج الثمر للناس يأكلونه ، لا إنزال الماء من السماء للناس يشربونه ويخزنونه . ثم ما فائدة « الفاء » فى قوله تعالى : « فأنزلنا من السماء ماء » ثم « الفاء » فى قوله : « فأسقيناكموه » . فالملاقحة هنا هى بين قطيرات وقطيرات أو بين سحاب وسحاب لا بين زهر وزهر أو نبات ونبات .

فالآية الكريمة المذكورة هى مظهر من مظاهر الإعجاز المتجدد للقرآن لأن تلاقح السحاب وأثره فى نزول المطر أمر كان يجهله الإنسان حتى كشف عنه العلم الحديث . وفى هذا تطابق تام بين العلم والقرآن الكريم .

إلى غير ذلك من الأمثال مما لا حاجة فيه إلى كل هذا الإغراق فى الفهم والبعد فى التأويل . إذ لا يتوقف فهم هذه الآيات ومثيلاتها على مثل هذه التوجيهات والالتجاء إلى الحقائق العلمية والنظريات الطبيعية . بل أسلم طريق فى ذلك هو السلوك فى فهمها مسلكا سهلا ينشى مع ما تدل عليه الألفاظ دلالة لغوية ويتلاءم مع سياق الآيات تلاؤما طبيعياً فى غير ما توسع ولا إطلاق مما لم تعرفه اللغة ولم يستعمل فيها ومما لا حاجة بالتشريع والهداية إليه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأما ما استدلوا به من قوله تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » فقد روى ابن عباس فى تفسير (الكتاب) هنا أنه اللوح المحفوظ - وهو خلق من عالم الغيب أثبت الله فيه مقادير الخلق ما كان منها وما يكون بحسب النظام المعبر عنه بالسنن الإلهية .

ومنهم من يفسر (الكتاب) بالعلم الإلهى المحيط بكل شيء شبه بالكتاب بكونه ثابتا لا ينسى .

وقال بعضهم أن المراد (بالكتاب) هنا القرآن ، والمراد بقوله (من شيء) الشيء الذى هو من موضوع الدين الذى يرسل به الرسل وينزل به الكتاب ، وهو الهداية ، لأن العموم فى كل شيء بحسبه . أى ما تركنا فى الكتاب شيئا من ضروب الهداية التى ترسل الرسل لأجلها إلا قد بيناه فيه .

وفريق آخر أنكر هذا النوع من التفسير - وهو التفسير العلمى - ولم يأخذ بمثل هذه التوجيهات ، مستدلين على مذهبهم :

أولا : بأن هذه الشريعة المباركة أمية لأن أهلها كذلك فلا يحتاج فى فهم كتابها وتعرف أوامرها ونواهيها ، إلى العلوم الكونية ، والرياضيات الهندسية وما إلى ذلك .

ثانيا : أن هذا القرآن موجه إلى من نزل فيهم من العرب وهم ليس لهم عهد بهذه العلوم التى لم تعرفها الدنيا إلا بعد ما جازت آمادا فسيحة ، فإذا قصد القرآن إليها ، وآياته لا تفهم إلا بالوقوف عليها يكون حينئذ كلاما غير مطابق لمقتضى الحال ، وحاشاه أن يكون كذلك . فوجب إذن أن نقف بعباراته عند فهم العرب الخلص ، ولا نتجاوز ما ألفوه من علومهم ، وأدركوه من معارفهم .

ثالثا : أن النظريات العلمية ، والحقائق الطبيعية عرضة للتبديل والتغيير ، فإذا أخذنا بها فى هذا النوع من التفسير كان فهم الآيات أيضاً عرضة للتغيير والتبديل ، مما يبعث على الشك ، ويؤدى إلى الريبة والبلبلة والاضطراب .

والرأى الذى نميل إليه هو أننا فى حاجة شديدة إلى أضواء من العلم تكشف لنا عن حكم وأسرار جاءت بها الآيات الكريمة ، ولا ضرر من عدم قصر فهمه على ما عند العرب فى علمها ومألوف معارفها ، لأن القرآن أنزل للناس كافة يأخذ كل على قدر استعداده وحاجته ما دام ذلك لا يتنافى مع ما قصده القرآن من الهداية ، وما يهدف إليه من الإرشاد .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فكم من حكمة فيه إذا ما مستها يد العلم أسفرت أسرارها وظهرت أنوارها وأبانت عن سر إعجازها وسحر بيانها . وفى هذا نوع من الإعجاز العلمى فان للكلام — كما ذكر عالم من كبار علماء عصرنا عليه رحمة الله — غايتين متباعدتين عند الناس فلو أنك خاطبت الأذكياء بالواضح المكشوف الذى تخاطب به الأغبياء لنزلت بهم إلى مستوى لا يرضونه لأنفسهم فى الخطاب ، ولو أنك خاطبت العامة بالملمحة والإشارة التى تخاطب بها الأذكياء لجئتهم من ذلك بما لا تطيقه عقولهم . فلا غنى لك - إن أردت أن تعطى كلتا الطائفتين حظها كاملا من بيانك - أن تخاطب كل واحدة منهما بغير ما تخاطب به الأخرى كما تخاطب الأطفال بغير ما تخاطب به الرجال . فأما أن جملة واحدة تلقى إلى العلماء والجهلاء وإلى الأذكياء والأغبياء وإلى العامة والخاصة فيراها كل منهم مقدرة على مقياس عقله وعلى وفق حاجته فذلك مالا تجده على أتمه إلا فى القرآن الكريم . فهو قرآن واحد يراه البلغاء أو فى كلام بلطائف التعبير ، ويراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم لا يلتوى على أفهامهم ، ولا يصعب على إدراكهم ولا يحتاجون فيه إلى ترجمان وراء وضع اللغة ، فهو متعة العامة والخاصة على السواء ، ميسر لكل من أراد (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ، (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) .

وقال الإمام الراغب الأصفانى فى مقدمة تفسيره : —

« أخرج تعالى مخاطباته فى محاجة خلقه فى أجل صورة تشتمل على أدق دقيق لتفهم العامة من جلتها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة ويفهم الخواص من أثنائها ما يوفى على ما أدركه فهم الحكماء . ومن هذا الوجه ، كل من كان حظه فى العلوم أوفر كان نصيبه من علم القرآن أكثر ولذلك إذا ذكر تعالى حجة إلى ربوبيته ووحدانيته أتبعها مرة بإضافتها إلى أولى العقل ، ومرة إلى أولى العلم ، ومرة إلى السامعين ، ومرة إلى المفكرين . ومرة إلى المتذكرين ، تنبيها على أن بكل قوة من هذه القوى يمكن إدراك حقيقة منها » .

فالقرآن لا يصادم شيئا أثبته العلم الصحيح بل كثيرا ما يكون فيه إشارة إليها .

فمن ينكر أننا فى حاجة ملحة إلى علم الأجنة يحدثنا عن قوله تعالى (فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب) .

وإلى علم الحياة يبين لنا أدوار الجنين فى قوله تعالى (ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما) .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومن ذا يحدثنا إذا لم يحدثنا علم الطب عن قوله تعالى « ويسألونك عن المحيض قل هو أذى » فيبين لنا مبلغ هذا الأذى وهل هو جسمى أو عصبى أو مزاجى أو نفسى .

وإليك ما كتبه فى تفسير هذه الآية أحد الأطباء المعاصرين فى كتاب له (وحى وبيان من لب القرآن) .

نزلت هذه الآية تمنع الرجال من مباشرة نسائهم أثناء حدوث الحيض كمثل صادق ملزم بتحديد الأوقات المناسبة لمباشرة النساء التى يراعى فيها قبول المرأة كما يراعى شعور الرجل ، وهى فترة إجباريه على الرجال يعاملون نساءهم فيما يماثلها من فترات بأدب القرآن الذى شرعه فى هذه الآية .

والأذى فى هذه الآية لفظ عام يحتمل معنيين :

(أذى) بمعنى إيذاء وضرر ، و (أذى) بمعنى قذر ممجوج تعافه النفس . والمواطأة أثناء فترة الحيض فيها ، وهذان النوعان من الأذى لكل من المرأة والرجل ، إذ يتسبب عنها فى المرأة زيادة فى احتقان جهازها التناسلى بما قد ينشأ عن ذلك من آلام أو مضاعفات كنزف دموى أو اضطراب فى دورة الحيض أو التهابات بالأعضاء التناسلية . هذا فضلا عن أن إحساس المرأة بالألم إذا ما بوشرت أثناء الحيض ، نظراً لما تعانيه من احتقان بأعضائها التناسلية يسبب لها إرهاقا عصبيا ، إذ أن أعصابها تكون حينذاك مرهقة غير طبيعية ، كما أن رغبتها للمباشرة الجنسية تكون خاملة راكدة فى هذه الفترة بسبب حدوث شىء من الاضطراب فى إفراز الهرمونات الداخلية لبعض الغدد الصماء ، وهذا من شأنه أن يولد فى نفس المرأة حالة جفاء نفسى بالنسبة للرجل ، فترى فيه حيواناً نهماً لا يكترث بشعورها ، ولا يحس بألمها ، ولا يبالى بتهيئة أسباب الراحة اللازمة لها ، فى هذه الفترة العصبية .

وليس الأذى الذى يلحق بالرجل بأقل مما يلحق بالمرأة ، إذا ما أتاها فى أثناء المحيض إذ قد يصاب بالتهاب صديدى بمجرى البول نتيجة لانتقال بعض الجراثيم المتأقلمة فى جهاز المرأة التناسلى ، وناهيك بما ينتاب الرجل من شعور عميق بالاشمئزاز الذى قد يسبب له عقدة نفسية تؤثر على قواه الجنسية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لذلك كان لزاما أن يأمر الله المحيط العليم الحكيم باعتزال النساء فى المحيض والابتعاد عن غشيانهن حتى يطهرن بانقطاع دم الحيض والاغتسال . أرأيت إلى ما اشتملت عليه كلمة (أذى) من أسرار وحكم ، وهذا هو معنى الإعجاز العلمى للقرآن الكريم .

فالحق أن كل ما يساعد من العلوم على الكشف عن أسرار التشريعات الإسلامية ، والدلالة على قدرة الصانع الحكيم ، والإبانة عن مبلغ آياته ونعمه ، ولا يتعارض مع أسلوب اللغة ومألوف تعبيرها من غير إغراب ولا تكلف ولا إغراق فى التأويل وإسراف فى التجديد فهو مما يجوز أن يستخدم فى تفسير آيات القرآن الحكيم ، فهو لا تفنى عجائبه . ولا تحصى أسراره ؟

عبد الوهاب حموده

من وحى الثورة العراقية

واستيقظت (بغداد) تشهد مولد البعث الجديد
نفضت رداء الذل عنها ثم ضجت بالنشيد
ومضت تشق الصخر تحفر فيه آيات الخلود
عملاقة الخطوات تقتلع الحواجز والسدود
صخابة ، هدارة الأمواج تعصف بالقيود
بعروش من باعوا العروبة واستهانوا بالعهود
بالخائنين ، عبيد الاستعمار أذناب اليهود
(بغداد) حي ثورة الأحرار قد طلع الصباح
قد أشرقت شمس العروبة فى روابيك الفساح
وقد انتقمت من الليالى السود مزقت الوشاح
وصرعت أقطاب الخيانة فى (الرحاب) المستباح
سيعيد (حطين) الرهيبة عند (بيروت) (صلاح)
ويسير زحف الشعب اعصارا يطوق بالرياح

أبو السعود الجهنى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عـــبر

عين الله لا تغفل ، ولكن خلق الإنسان عجولا ولو اعتصم المظلوم بالصبر لرأى فى الظالم يوما - قرب أو بعد - فكم من الأحداث ما يكاد ينسى الحليم حلمه ، ويذهب عن العاقل لبه ، ويبعث فى ضعاف النفوس القلق والشك ، ثم الضلال والإلحاد ، ثم يكون من تصاريف القدر ما يرد الدمع فى العين ، ويعيد الرضا إلى القلوب ، واليقين إلى النفوس . فكم من ظالم أسرف فى ظلمه ، وبالغ فى هذا الإسراف ، ونسى كل شىء إلا أنه قادر مسلط . وتذكر كل شىء إلا أن وراءه رقيباً شديد الحساب . وزاده طغيانا وجبروتا أن مد له القدر . وأمهلته السماء ، ومكن له فى الأرض ، ثم تنزل به المحنـــة فيصبح ذليلا مهينا ، ولله تدبير لا تدركه عقولنا الضيقة ، ولا تصل إليه أفهامنا القاصرة ...

ومن رزقه الله العقل الحصيف ، والقلب السليم ، تفطن لعواقب الأمور ، وتنبه لمراتع الظلم ، وأدرك أنها مراتع وخيمة ، ومصاير أليمة « وما يذكر إلا أولو الألباب » .

ومن طمس الله على بصيرته ، وألقى على بصره غشاوة ، لم ينظر أبعد مما تحت قدميه . ولم يتبصر فيما حواليه ، ولم يراجع أحداث التاريخ ، ثم يقرن بين المتشابهات ، ويوائم بين النظائر ، فيعرف بذلك سنة الله فى الكون ، ونواميسه فى الحياة .

وقد جرد الله أولئك الذين يمرون على أحداث التاريخ فلا يأخذون منها العظة ، جردهم من العقل ، حيث يخاطب مشركى العرب من أهل مكة ، ويلفت أنظارهم إلى ما نزل بقوم لوط ، وإنه لأمام أعينهم ، يرونه وافدين إلى الشام ، وراجعين منها ، مصبحين ومسين ، ولكنهم لا يعقلون : « ثم دمرنا الآخرين ، وإنكم لتمرون عليهم مصبحين ، وبالليل أفلا تعقلون » .

ودعا القرآن إلى التدبير ، والتفكير ، والنظر « أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وما كان لهم من الله من واق . ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا ، فأخذهم الله ، إنه قوى شديد العقاب » .

وقديما قيل : العاقل من اتعظ بغيره ، ولكننا نرى فى زماننا هذا ، كما قرأنا فى كل أدوار التاريخ ، الغافلين الذين لا يتعظون بمصاير الآخرين .

كان فى مصر حكم فاسد ، وملك مستبد ، سام الشعب ألوان العذاب ، وجر على البلاد أصناف الخراب ، وطغى وبغى ، ثم جاءه المصير المشئوم ، والحساب العادل ، فهوى عرشه وزال ملكه ، ولفظته البلاد ، ولعنه العباد ، فكان حريا بأمثاله أن يأخذوا من مصيره عبرة ، ومن يومه المشهود نذيرا ، ولكنهم استمروا فى غلوائهم ، وأسرفوا فى التنكيل بشعوبهم ، ولم تمض غير سنوات ست حتى شهدنا العبرة الأخرى . وكانت هذه المرة على أرض الرافدين ، فتنفست الأمة العربية كلها الصعداء ، ومع ذلك لا نزال نرى رؤسا قائمة على أجسادها تسلك نفس السبيل الذى سلكه الطغاة الذاهبون ، وتمارس نفس الأعمال والمظالم التى كانوا يمارسونها ، (أفلا يعقلون) ؟!

والذى ينزل بالحاكمين الظالمين ، ينزل بكل من يقترف فى حق الشعوب أو الأفراد أى نوع من أنواع الظلم ، وربما عجل العقاب .

قرأت أخيرا أن الماجور كلود الذى أمر بإلقاء أول قنبلة ذرية على مدينة (هيروشيما) أصيب بالأرق ، فيقفز فى نصف الليل ويعود كالذئب المسعور ، وقد توالت عليه نوبات الجنون ، ثم راح يرتكب سرقات أودع بسببها السجن .

ويحدثنا التاريخ الإسلامى أن الذين اشتركوا فى قتل الحسين بن على رضى الله عنه ، يوم كربلاء ، لقوا جميعاً جزاءهم العادل فى الدنيا ، وحسابهم يوم القيامة إلى الله. فالفارس الذى احتز رأس الحسين لم يطل به الأمد ، ذلك أنه كان حريصا على أن يكون أول مبشر للأمير لينال عنده يدا ، ومضى بالرأس بين الفخر والخيلاء ، والفرح والغبطة ، ويقف على عبيد الله بن زياد ، وهو - يومئذ - والى الكوفة ، وينشد :

أوقـــر ركابى فضة وذهبـا إنى قتلت الملـــك المحجبـا
قتلت خـــير الناس أما وأبا وخـــيرهم إذ ينسبون نسبا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فيغضب الأمير غضبته . ويصيح فى الرجل : إذا كان خير الناس أما وأبا فلم قتلته؟ ثم يأمر بضرب عنقه .

وقد جاء فى كتب التاريخ القديمة أنه وجد فى عسكر الحسين طيب انتهب ، فما تطيبت به امرأة إلا ذهلت .

وكان خاتمة أمر قتلة الحسين أن سلط الله عليهم جبارا عنيدا هو المختار الثقفى ، فكان لا يعلم برجل اشترك فى قتل الحسين أو شهده إلا قتله ، أوهدم داره ، وربما حرقه تحريقا .

وعبيدالله بن زياد ، قتل ، بعد أن طرده أهل العراق ، وأرسل رأسه إلى على بن الحسين فوجده الرسول يتغدى ، فلما وضع الرأس بين يديه قال : سبحان الله ما اغتر بالدنيا إلا من ليس لله فى عنقه نعمة ، لقد جيء برأس أبى إلى ابن زياد وهو يتغدى .

وبعد ، فهل يرجع الضالون إلى عقولهم ، ويستضيئون بالأحداث التى وقعت للآخرين ؟ وهل يكف كل ظالم عن ظلمه ، ويعلم علم اليقين أن لله عينا لا تنام ، وأن الله يمهل ولا يهمل وهل يجلس فى بيته مغمضا عينيه ، ويسبح بفكره فيرى العبر حواليه ، تملأ الفضاء ، وتفيض بها بطون الكتب ؟ .

عـــبر كلها الليالى ، ولكن أين من يفتح الكتاب ويقرأ ؟ !

على العمارى
المدرس بالأزهر

فى مولد الهادى

رجعت لله أشدو فوق قيثارى ... وأنشد الشعر للهادى بأشعارى
يامنقذ الناس من طغيان أنفسهم ... لولاك صار جميع الناس فى النار
ذكرى وفيها عظات وهى مدرسة ... للقانتين وآيات لأحـــرار
وأمة الضاد فى أفراحها لبست ... لأجـــل عيدك هالات لأنوار

محمد فهمى توفيق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دعائم المنهج الخلقى الاسلامى

يقوم المنهج الخلقى الإسلامى ، الذى أشرنا إلى مميزاته فى حديثنا السابق ، على الدعائم الخلقية الآتية :

الدعامة الأولى : قوة الشخصية وكمال الرجولة ، وهى صفة تبعث صاحبها على الاعتداد بالنفس ، والاعتزاز بالكرامة ، والوقوف بجانب الحق ولو على نفسه ، والانتصار له مهما احتمل فى سبيل ذلك من جهد ومشقة ، والترفع عن سفساف الأخلاق وذميم الأفعال ، فقد عنى الإسلام ببناء هذه الدعامة وتنميتها فى المجتمع الإسلامى ، وأظهر هذه العناية فى أساليب قوية رائعة ، تثير فى النفس الحماسة والشجاعة ، وتلهب فيها العواطف والمشاعر .

فأوجب على المسلمين أن يكونوا رجالا أقوياء فى دينهم ودنياهم ، أعزة كراما فى مجتمعاتهم وأوطانهم ، يدافعون عن عزتهم وكرامتهم ، وينتصرون ممن يبغى عليهم أو يعتدى على سيادتهم ، وجعل ذلك من لوازم الإيمان وصفات المؤمنين . كما فى قوله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجدا ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا » « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » ، « والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون » وقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز » .

وحرم عليهم الضعف والاستكانة والاستسلام ، كما قال جل جلاله « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » ، « فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم » « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا » فالإسلام لا يبيح لأهله أن يقيموا على الضيم والهوان ، ولا أن يضعفوا أمام أعدائهم فى الدفاع عن دينهم ووطنهم ، ويدعوا إلى الصلح والمسالمة خورا وتذللا لهم ، ولا يرضى لهم أن يكونوا أذلة مستضعفين ، ولا يقبل منهم الاعتذار

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بأنهم كانوا مستضعفين فى الأرض ؛ لأن ذلك كله لا يتفق مع عزة الإسلام وكرامة المسلمين ، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يتمدح بمظاهر الرجولة والقوة ، والاعتزاز بالإباء والكرامة ، ويعمل على تنمية هذه المظاهر فى المجتمع الإسلامى ، وكان يقول فى ذلك ، « يعجبنى الرجل إذا سيم خطة ضيم أن يقول لا بملء فيه » .

فليس من شأن المسلم أن يرضى بالضيم والهوان ، أو يستكين للبغى والعدوان ، وإنما شأنه أن يكون رجلا كاملا فى رجولته ، قوياً فى دينه وخلقه ، عزيزاً فى مجتمعه ووطنه ، شجاعا لا يهاب الإقدام ولا يخشى اللقاء ، إذ غاية ما يصيبه فى سبيل الاحتفاظ بعزته وكرامته والدفاع عن دينه ووطنه ، إنما هو الاستشهاد فى ساحة الكرامة والشرف ، وما الموت إلا نقلة من دار الفناء إلى دار البقاء ، وهو ميت يوماً ما لا محالة .

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العار أن تموت جبانا

وكيف لا يكون المسلم قوياً فى رجولته وخلقه ، عزيزاً فى مجتمعه ووطنه ، وكل تعاليم الإسلام تتمثل فيها الرجولة والقوة ، وتتجلى فيها مظاهر الكرامة والعزة ، وكيف يخاف الموت فى سبيل الدفاع عن دينه ووطنه ، وهو يؤمن بأن الموت نهاية كل حى ، وأن الأجل عند الله مكتوب ومحدود ، فحرص الحريص لا ينجيه ، وإقدام الشجاع لا يرديه ، وأن الآجال بيد الله يصرفها كيف شاء ، فلا يعرف أحد متى يحين حينه ، ولا بأى أرض توافيه منيته . وكيف لا يؤمن بهذه الحقائق والسنن الإلهية ، وهو يتلو فى الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . قول الله جل جلاله : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » ، « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا » . « وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، إن الله عليم خبير » .

هذه هى الشخصية الإسلامية كما قررها القرآن الكريم ، وقررها النبى صلى الله عليه وسلم تقريراً عملياً ، فقد تجلت هذه الشخصية القوية بأروع صورها وأكمل معانيها ، فى أخلاقه وأعماله ومواقفه الخالدة ، وتمثلت من أول يوم حمى فيه وطيس الجهاد العنيف والكفاح المرير ، فى كلمته الباقية على وجه الزمان ، والتى صاح بها فى وجه الإغراء والطغيان : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » ، فكانت هذه الصيحة القوية المدوية ، لساناً ناطقاً ، وتعبيرا صادقا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عما انطوت عليه نفسه الشريفة من قوة الشخصية وكمال الرجولة ، ومثلا أعلى للثبات على الحق والوقوف بجانبه مهما كانت العاقبة ، والتضحية بالنفس والمال والسلطان فى سبيل المبدأ والعقيدة ، ورائدا للمسلمين الأولين فى جهادهم وكفاحهم ، فكانوا مثلا عليا للجهاد والكفاح فى سبيل الدين والوطن .

فعلى المسلمين فى كل زمان ومكان ، أن يعلموا أن هذه الشخصية التى قررها الإسلام وطالب المسلمين أن يتخلقوا بها ، لا تختص بعصر دون عصر . ولا بفريق من المسلمين دون فريق ، بل تعم كل عصر من عصور المسلمين ، وتشمل كل جانب من جوانب حياتهم ، ويطالب بها كل فرد من أفرادهم ، وكل طبقة من طبقاتهم ، وعليهم أن يعلموا أن هذه الرجولة التى ملأت قلوب الرعيل الأول من المسلمين ، واستولت على أحاسيسهم ومشاعرهم ، هى التى أتاحت لهم أن يقيموا لأمتهم دولة عزيزة الجانب مرهوبة السلطان .

الدعامة الثانية : الحياء ، وهو خلق يبعث فى النفس الشعور بكمال الفضيلة ونقص الرذيلة ، ويحملها على الترفع عن سفساف الأخلاق وذميم الخلال ، واجتناب كل مايوجب المذمة والملامة ، ولهذا عنى الإسلام بتنميته فى المجتمع الإسلامى عناية كبرى .

فامتدحه وحث على التخلق به ، وجعله مصدراً لكل خير وفضيلة ، وشعبة من شعب الإيمان وخصاله ، كما قال صلى الله عليه وسلم « الحياء خير كله » . « الحياء لا يأتى إلا بخير » « الحياء شعبة من الإيمان » .

وأكبر من شأنه ورفع منزلته ، فجعله الخلق الخاص بالإسلام ، كما قال صلى الله عليه وسلم « لكل دين خلق ، وخلق الإسلام الحياء » ولهذا لاترى مظاهر الحياء والاحتشام متجلية بأجلى معانيها ، إلا فى المجتمعات الإسلامية المحافظة على تقاليد الإسلام وآدابه .

والحياء جدير بهذه العناية وتلك المنزلة ، لأنه هو الذى يبعث صاحبه على كبح جماح الغرائز والشهوات ، والوقوف بها عند حدود التوسط والاعتدال ، ويحمله على مراعاة قوانين الأخلاق وآداب السلوك ، ويطبعه على التحرج من كل مايوجب تأنيب الضمائر الحية واستنكار النفوس الأبية ، وهو الظهير الذى يعتمد عليه قادة الإصلاح فى تهذيب النفوس وتقويم الأخلاق ، وتنبيه الغافلين وإرشاد المنحرفين ، إذ لولا الحياء الكامن فى أعماق النفوس لما أثمر نصحهم وإرشادهم ، لأن الإنسان إذا نضب معين الحياء من وجهه ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأزال عنه حجاب التحفظ والاحتشام ، وارتدى رداء الفجور والتحلل ، وفقد الإحساس بكمال الفضيلة ونقص الرذيلة ، واختلت لديه موازين الحسن والقبح ، فإنه لا يفيد فيه وعظ ولا إرشاد ، ولا يجدى معه لوم ولا تقريع ، ولا يقتنع بحجة ولا دليل ، ولا يبالى بما يصدر عنه من أقوال وأفعال ، كما يشير إلى ذلك الحديث النبوى ، « إذا لم تستح فاصنع ماشئت » ، فالحياء هو عنوان الإنسانية الكاملة ، ورائد الكمال والفضيلة ، وعماد الأخلاق الكريمة ، ومبعث الأعمال الصالحة . والمنبت الطيب لبذر الهداية والإصلاح ، ومن لاحياء فيه لاخير فيه .

الدعامة الثالثة : الأمانة ، وهى من أجل أخلاق الإسلام ودعائمه العظام ، فقد أكبر الإسلام من شأنها وأعظم أمرها ، وطالب المسلمين برعايتها والمحافظة عليها ، فأمر بتأدية الأمانات إلى أهلها . كما قال تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » وجعل رعايتها من صفات المؤمنين الموجبة لفلاحهم ، كما قال تعالى : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » وقرن النهى عن خيانتها بالنهى عن خيانة الله ورسوله تعظيما لشأنها ، كما قال عز شأنه : « يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » وجعل انتفاء الأمانة مستتبعا لانتفاء الإيمان ، وعلامة من علامات النفاق « كما قال صلى الله عليه وسلم ، « لا إيمان لمن لا أمانة له . ولا دين لمن لاعهد له » ، « آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب . وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » . وإنما تتحقق أمانة المؤمن بتحقق الجوانب الثلاثة الآتية : —

١ — أن يكون أمينا على دينه . يؤمن بعقائده ويعقد عليها عقد اليقين والإذعان ، ويأتمر بأوامره وينتهى بنواهيه ، ويتخلق بأخلاقه ويتأدب بآدابه ، ويسير فى تعرف أصوله وفروعه وفهم نصوصه . على هدى ماتوارثه المسلمون عن الرعيل الأول من أئمة المسلمين وعلمائهم وحفاظهم ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة بكتاب الله وسنة رسوله ، وأعمقها علما بشرائع الإسلام ومقاصده . وأقلها تكلفا فى الاجتهاد والاستنباط ، وأقومها هديا واتباعا للكتاب والسنة . فلا يسير فى فهمها وراء الظنون والأهواء . فإن الهوى آفة الرأى ، ومضلة للعقل ، ومفسدة للقلب ، ولا يقول فى دين الله بغير علم ولا حجة ، ولا يدلس على الناس فى الدين ولا يضللهم . فإن ذلك ضلال بعيد وفساد كبير .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٢ ــ أن يكون أميناً على الحقوق والواجبات ، والعقود والمعاملات ، إذا حكم فى حق حكم فيه بالعدل ، وإذا وجب عليه حق من حقوق الله أو حقوق العباد ، أداه كأحسن مايكون الأداء ، وإذا عاقد أحدا أو عامله ، وفى بالعقد وأحسن المعاملة .

٣ ــ أن يكون أميناً على الروابط والصلات ، والأعراض والكرامات ، فلا يتقول على الناس الأقاويل ، ولا يفترى عليهم الأكاذيب ، ولا يشيع عنهم مقالة السوء . ولا يتتبع عوراتهم ، ولا يهتك لأحد ستراً ، ولا ينتهك له حرمة ، ولا يخدش له كرامة ، ولا يثلم له عرضاً .

ومن هنا يتضح لنا أن الأمانة التى طالبنا الله برعايتها ، ليست خاصة بشأن خاص من شئون الحياة ، بل تعم جميع الشئون الدينية والدنيوية ، ويطالب بها كل فرد من أفراد المسلمين ، يطالب بها المتدينون فى تدينهم ، والمرشدون فى إرشادهم ، والعلماء فى بحوثهم ، والمعلمون فى أداء رسالتهم ، والحكام والرؤساء فى إدارتهم ، والجنود فى ميادينهم ، والصناع فى مصانعهم ، والتجار فى متاجرهم ، والزراع فى حقولهم ، وكل راع فى رعيته وولايته .

الدعامة الرابعة : الوفاء بالعهد ، فقد عنى به الإسلام عناية كبرى ، لما له من عظيم الخطر وجليل الأثر ، فأوجب على المسلمين الوفاء بعهودهم ومواثيقهم ، وحث على رعايتها والمحافظة عليها ، وحرم نقضها والغدر بها ، كما قال الله تعالى : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، إن الله يعلم ما تفعلون » ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا » وجعل الوفاء بها من لوازم الإيمان وصفات المؤمنين كما قال تعالى فى وصف المؤمنين « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا » ، « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » كما جعل نقضها والغدر بها من لوازم النفاق وصفات المنافقين ، كما قال صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من نفاق حتى يدعها ، إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر » ، فالعهود التى طالبنا الله بالوفاء بها . تعم العهود الدينية التى أوجبها الله على عباده وتعبدهم بها ، والعهود الدنيوية التى أذن الله لهم فيها وأرشدهم إليها ، وقضت بها حاجة الاجتماع والتعاون بين الأفراد والجماعات ، سواء كانت هذه العهود قائمة بين الأفراد أو بين الجماعات من المسلمين ، أو كانت قائمة بين المسلمين وغيرهم ، فعناية الإسلام بالعهود الدنيوية المصلحية ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لا تقل عن عنايته بالعهود الدينية التعبدية ، لأن الوفاء بها من أهم دعائم التعاون بين الأفراد والجماعات ، واستقرار الثقة فى العقود والمعاملات ، واستتباب الأمن والسلام فى الجوار والصلات ، فإن أكثر ما يقع بين الأفراد من الخصومات الجامحة والأحداث الدامية ، التى تملأ الصدور بالحقد والضغينة ، وتبذر فيها بذور الفرقة والقطيعة ، وما يقع بين الأمم من حروب طاحنة ، تسفك الدماء المعصومة ، وتحصد الأرواح البريئة ، وتنشر الخراب والدمار ، يرجع فى بواعثه إلى عدم الوفاء بالعقود والعهود ، والاستهانة بحرمتها وقداستها ، وعدم قيامها على الصراحة والإخـــلاص وسلامة القصد ، كما يشاهد ذلك فى المعاهدات والمحالفات التى تعقدها دول الاستعمار ؛ فإنها تقوم على الغش والخديعة ، والتمويه وسوء القصد ، وعدم المبالاة بنقضها والغدر فيها ، متى كان ذلك محققا للأغراض الخفية التى عقدت لأجلها ؛ لأنها مستمدة من وحى الأهواء لا من وحى السماء ؟

يس سويلم طه

المفتش بالأزهر

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تحية للجمهورية العراقية

فى ساعة الصفر وقت الفجر ناداه ... والنصر فى الأوج بعد الصبر وافاه

هبوا سراعا كأسد هاجها شبح ... واستيقظ الغرب ذعراً فاغراً فاه

يا أهل بغداد ما للغرب فى فزع ... هل جد أمر خلاف النصر آذاه

أم أنه الزحف لم يترك له أملا ... فى العيش بين شعوب خصها الله

ماكان للشك فيما كان من أثر ... فالقوم فى الشرق كل الشرق أشباه

منا جمال ومنكم قاسم وغداً ... من أهل عمان ماضى العزم تياه

صبر تضيق به الأيام إن قدرت ... والعزم حتى قساة الجن تهواه

ما كنت أرتاب فى أهلى وإن هدءوا ... فالمعدن الحر قد يغبر أعلاه

بل كنت أوقن أن الأمر تصفية ... ترذى الخسيس و بئس النار مثواه

محمد كامل ثلث

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تعليقات

مسابقة العيون الجريئة

كانت فجيعة خلقية تثير الأسى عند كل ذى غيرة ، فما ظننا أن يبلغ الاستهتار والتبجح عند أناس أن يجتمع عدد من الفتيات (من أى طبقة كانت) على شاطئ البحر ثم يجعلن أنفسهن غرضاً للعيون الجريئة التى تسرف فى إمعان النظر إلى الفتيات ، ثم يكون لأكثر الفتيان وقاحة تقدير عند الفتيات ، وتمييز للراجح عن المرجوح .

لم تكن نظرة الناظر إلى امرأة من غير محارمه إلا ضرباً من المجون ، وقد سمى الله تلك العيون خائنة ، والخيانة أبشع ما يتصف به دنىء ، وما كانت النظرات الخائنة إلا سبيلا للخطيئة الجنسية التى اعتبرها القرآن قبل سواها من المآثم فاحشة ، ثم نهى عن الفاحشة بل عن قربان الفاحشة ، والقربان هو النظر وما يشبهه .

هذه النظرات الخائنة أصبحت عند فتيات من جيلنا الذى نعيش فيه نظرات مشروعة ، بل مطلوبة بالإغراء والألقاب المشجعة .

هذه مهزلة تقضى على الحياء وعلى الرجولة معاً ، فكان هناك فتيات تجردن من طبيعة الأنوثة فلم يعد لديهن حياء مما يزين الأنثى ، ويرفع شأنها ، وكان هناك فتيان فقدوا غيرة الرجولة واحتشام الأدب .

ولقد كان هؤلاء الفتيات والفتيان فى أغلب الظن من أوساط مهلهلة لا يردعهن أصل كريم ، ولا يبقين على سمعة طيبة يصونها عادة أبناء البيوتات . فالمسابقة بين الفريقين فى هذا الباب فجيعة لا يرضاها الحيوان فضلا عن أناس يظنون أنهم سبقوا فى المدنية والحرية .

وكان العلاج الناجع والرد الموفق على هذه المأساة ما صنعه المشير عبد الحكيم عامر فقد اقتاد الشبان إلى الجيش ليعلمهم الرجولة بدلا من التخنث ، ولينتفع بهم الوطن فى ميادين الكفاح والجد بدلا من الميوعة والهزل .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نعم ما صنع القائد عبد الحكيم عامر ! وليته يتتبع هؤلاء الرقعاء فيزج بهم فى الجيش مع مراقبتهم بين الجنود ، أو عزلتهم عن الجمهرة منهم لئلا ينفثوا سمومهم فى نفوس الشبان هناك .

وبقيت مسألة الفتيات جديرة بعلاج لائق يسد هذا الباب الخطر ، ويحمى البيئة من جراثيم الإسفاف ، والرقاعة والتبذل .

والحق أن الأمر بحاجة إلى عين ساهرة ، ولكن ماذا نصنع وبيننا من ينشط فى تشجيع الرقص بين الفتاة والفتى ، ويحسب ذلك فنا جميلا يخدم به الحضارة الحديثة فى شعب شرقى متدين ، يأبى دينه وتقاليده أن يحاكى غيره فى هذه المهازل الخليعة ، ووالله إنها لتوجيهات ضارة وتركها واجب .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الإنسان الكامل

بأى لفظ أصوغ الدر تبيانا ... وأسبك القول بين الناس عقيانا
وأمدح المصطفى جلت مواهبه ... محمداً خير خلق الله إنسانا
أنى لمثلى يطريه ويمدحه ... بعد الألى ذهبوا فى القول فرسانا
يا من طلعت على الأكوان أجمعها ... بدراً منيراً أنار الكون أزمانا
غزوت لله لا دنيا تؤملها ... وما أردت سوى إرضاء مولانا
مواقف كلها نبل ومفخرة ... يمضى لها الدهر مبهوتاً وحيرانا
لقد تركت رياض العلم يانعة ... تؤتى جناها ثقافات وعرفانا

من قصيدة للأستاذ : إبراهيم أبو سعدة — واعظ القاهرة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتب

المسح على الجوربين

للشيخ جمال الدين القاسمي - (٦٦ ص) - المطبعة السلفية بالقاهرة

عالم الشام الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (١٢٨٣ - ١٣٣٢) شغل حياته بالعلم ، وزين علمه بالعمل ، ولو لم يكن له إلا تفسيره الكبير الذي يطبع الآن لكفاه في تخليد فضله ، فكيف وقد عرف العالم الإسلامي فضله في حياته قبل أن يعرف له هذا التفسير ، ثم عرف له بعد وفاته سنة ١٣٣٢ كتبا أخرى نشرت بعده ، ومنها هذه الرسالة في المسح على الجوربين وأن ذلك كان مشهوراً عند الفقهاء من الصحابة والتابعين ورواة الحديث ، وقد أورد المؤلف الأحاديث الواردة في ذلك ، ورد ما ورد عليها من شبه ، وذكر أسماء من أثر عنهم المسح على الجوربين من الصحابة والتابعين ، وبعد أن بين أن أقوال الصحابة وفتاويهم أولى بالأخذ من غيرها استعرض مذاهب الأئمة الأربعة في ذلك .

وقد قدم له بتقييد السنة والشريعة العلامة الشيخ أحمد شاكر مقدمة في تصحيح الأحاديث التي استدل بها المؤلف ، واستوفى هذا الموضوع في مقدمته .

المسح على الخفين لابن تيمية

ويلي رسالة المسح على الجوربين للقاسمي فصل من الفتاوى المصرية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية في (المسح على الخفين) وهي دراسة دقيقة في الفقه لا يجدها طلاب العلم بأوفى مما يصدر عن قلم ابن تيمية ، ومما اشتملت عليه هذه الدراسة بيان خطأ أهل الظاهر - ومنهم العلامة ابن حزم - في عدم أخذهم بفحوى الخطاب . وهي في ٣٢ صفحة (٦٧ — ١٠٨) نشرت عن نسخة خطية علق عليها وعارضها بالفتاوى المصرية الكبرى المطبوعة العالمان الفاضلان الشيخ عبد الرحمن المعلمي والشيخ سليمان الصنيع من علماء الحجاز .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الاستئناس لتصحيح أنكحة الناس ـ للقاسمي

وقد ألحق بالرسالتين السالفتين هذا الكتيب من مؤلفات العلامة القاسمي ، في موضوع الحلف بالطلاق الذي ابتلي به أكثر العامة في اللغو من كلامهم والتافه من أمورهم. وقد أفاض المؤلف في بيان آداب التطليق المستمدة من الكتاب والسنة ، وهي عشرة : منها رعاية المصلحة في إيقاعه ، وأن لا يكون القصد من إيقاعه مضارة الزوجة ، وأن لا يكون في حالة غضب ، وأن يكون الفراق منويا مقصودا ، وأن يكون مأذونا فيه من الشرع، وأن يكون بإحسان ، وأن لا يطلق ثلاثا دفعة واحدة . ولعل هذه الرسالة آخر مؤلفات العلامة القاسمي، فقد ذكر في آخرها أنه ألفها وهو في رحلته إلى حوران وطبريا وحيفا وعكا سنة ١٣٣٢ وهي سنة وفاته . وهذه الرسالة الثالثة في ٥٩ صفحة (١٠٨ - ١٦٤) .

وقام بطبع هذه المجموعة نصير السنة والعامل في الحجاز على نشر علم السلف الشيخ محمد نصيف حفظه الله وجزاه عن العلم خيرا .

مطابقة الاختراعات العصرية

لما أخبر به سيد البرية

لأحمد بن صديق الغماري ـ ١٥١ ص ـ دار العهد الجديد للطباعة

هو كتاب زعم فيه مؤلفه أن في الأحاديث النبوية ما يدل على المخترعات العصرية ، كالسكة الحديد والسيارات والطائرات والتليفون والراديو والمطابع والغواصات والسيرك والكلاب البوليسية وتأميم البترول والمطر الصناعي وآلة التصوير والبنكنوت والشيوعية ودولة اليهود والرد على نظرية دارون الخ ... والذي نعلمه أن السنة النبوية وردت لتوجيه الناس إلى ما فيه رضا الله وتحويلهم عما يوجب سخطه ، ولا حاجة بالحديث النبوي إلى الدلالة على هذه المخترعات بأعيانها بعد أن أخبر الله عنها وعن غيرها بقوله سبحانه : « ويخلق ما لا تعلمون » . غير أن في صفحة ٤٠ من الكتاب قذفا بمجاهد كريم يعاقب عليه القانون ، وحكمه في الشريعة إقامة الحد على القاذف إن لم يأت بأربعة شهداء . وفي صفحة ١٣٢ قذف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

آخر بالخيانة لذلك المجاهد ، واستيلائه بزعم المؤلف على الملايين من أسبانيا ثم من فرنسا ومن اليهود أيضاً ، مع أننا لا نعرف عن ذلك المجاهد إلا اضطهاد المستعمرين له واعتقاله وسجنه ومواصلة جهاده فيهم طول حياته ، وفى ص ١٠٩ عد من التلاعب تمسك العرب بعروبتهم ونصرهم اللغة العربية وبحثهم عن الدخيل منها وإبدال الكلمات الإفرنجية بما يؤدى معناها من العربية .

فإذا كان هذا تلاعبا فى نظر المؤلف ، فعلى العلم وعلى العروبة وعلى العربية وعلى التأليف السلام .

المصابيح المباركة

للأستاذ محمد المهدى محمود على - ٧٢ ص - مطابع دار الكتاب العربى

والمصابيح المباركة التى جعلها المؤلف عنواناً لرسالته هى : القرآن الكريم ، وشهر رمضان ، والأزهر الشريف .

ومن فصول الرسالة عن القرآن فصل عنوانه (نور من الله) نوه فيه بمؤلفات بعض أعلامنا عن كتاب الله كالسيوطى فى (الإتقان) ، والشيخ طاهر الجزائرى فى (التبيان) ، والرافعى فى (إعجاز القرآن) ، وعبد العظيم الزرقانى فى (مناهل العرفان) ، ومحمد عبد الله دراز فى (النبأ العظيم) . وبعده فصل بعنوان (الرسول والقرآن) .

ومما جاء فى الرسالة عن المصباح الثانى رمضان فصل عنوانه (المصطفى الكريم فى شهر رمضان) . وفصل عن (الصلة بين القرآن والصيام) . وفصل بعنوان (السلف الصالح) .

وثالث المصابيح هو الأزهر تكلم فيه عنه وعن القرآن والاستعمار ومخلفاته والأقلام الهدامة . ثم عن الأزهر والاستعمار بألوانه ، وقد لخص فيه محاضرة الدكتور محمد البهى عن المؤامرات على الأزهر من تلاميذ المدرسة الاستعمارية ، ثم عن الأزهر والثورة ، وصيحة الحق ، ورسالة الأزهر فى رمضان الخ .

وهى رسالة لطيفة نافعة إن شاء الله ؟

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

أول حكومة لجمهورية الجزائر

فى يوم الجمعة المبارك خامس شهر ربيع الأول شهر المولد النبوى ، ولدت أول حكومة لجمهورية الجزائر الحرة ، وهى تتألف من ١٩ وزيراً يرأسهم السيد فرحات عباس ، الذى أعلن فى مؤتمر صحفى بالقاهرة عقب صلاة الجمعة ، أن تأليفها كان بقرار من لجنة التنسيق والتنفيذ ، بناء على السلطة المخولة لها من قبل المجلس الوطنى للثورة الجزائرية . وستكون هذه الحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائر مسئولة أمام المجلس الوطنى للثورة الجزائرية . وقد بدأ عملها رسميا فى الساعة الأولى بعد ظهر ذلك اليوم (الجمعة) .

وفى ساعة تأليف هذه الحكومة تلقت برقية تهنئة من الرئيس جمال عبد الناصر ، وتوالت الاعترافات بها من الجمهورية العراقية ، وليبيا ، واليمن ، وتونس ، والمغرب ، والعربية السعودية ، والأردن ، والسودان ، والصين الشعبية ، وأندونيسيا ، وفيتنام .

وصرح السيد عبد الحميد مهرى وزير شئون الشمال الإفريقى الجزائرى بأن حكومة الجمهورية الجزائرية تعتبر نفسها فى حالة حرب مع فرنسا ابتداء من يوم تأسيسها . وأضاف أن فرنسا تقع عليها مسئولية كل ما يترتب على هذا الوضع .

وستبحث الحكومة الجزائرية - فى أول اجتماع لها - مسألة طلب انضمامها إلى جامعة الدول العربية .

ويتكون العلم الجزائرى من اللونين الأخضر والأبيض متجاورين رأسيا ، ويتوسطهما هلال أحمر ونجمة حمراء .

جهاد الجزائريين

فى قلب فرنسا

انتشر الرعب فى جميع أنحاء فرنسا من بسالة المجاهدين الجزائريين ، وقد لوحظ أن حملاتهم تزداد عنفا كلما اقترب اليوم المحدد للاستفتاء على دستور ديجول ، لحمل المقيمين فى فرنسا على التصويت ضده أو الامتناع عن الاشتراك فى الاستفتاء . وفى يوم غرة ربيع الأول (١٦ سبتمبر) نسف المجاهدون الجزائريون معسكرا حربيا خارج مدينة مرسليا فقتل عامل مدنى وجرح ثلاثة جنود ومدنيان وقد حدث هذا الانفجار عقب محاولة المجاهدين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الجزائريين اغتيال جاك سوستيـــل وزير الاستعلامات الفرنسي في قلب باريس ، وكان الهجوم على سوستيل منظما واشترك فيه عدد من المجاهدين تمكنوا من الاختفاء وسط الجمهور . وتوجه سوستيل في اليـوم التـالي ـ بجبهته المضمدة ـ لمقابلة ديجول ثم قصد إلى مقر إدارة البوليس لمعاينة سيارته التي أصيبت أمس برصاص الجزائريين . وحاول الجزائريون نسف مصنع قريب من رصيف ميناء الهانر ولـكن المتفجرات لم تنفجر كما يجب فأحدثت أضرارا طفيفـة . وحوادث نشاط الجهاد الجـزائري في فرنسا وإضرامهم الحـرائق في المرافق الحيوية أكثر من أن يتسع المجال لإحصائها .

رئيس لبنان الجديد

قبيل ظهر الثلاثاء ٢٣ / ٩ أدى رئيس الجمهورية اللبنانية الجديد السيد فؤاد شهاب ، اليمين الدستورية في مجلس النواب ، ثم ألقى كلمة قال فيها : إن إقرار الأمور وحكم الدولة في جميع المناطق اللبنانية يقتضي نزع السلاح من أيدي الجميع بلا هوادة ، وبناء ما تخرب من مرافق البلاد ومعالمها ، وإزالة التوتر في العلاقات بين لبنان وبعض شقيقاته العربيات ، وفوق ذلك كله تحقيق انسحاب القوات الأجنبية عن أرض الوطن بأسرع وقت ـ وبعد أن أشار إلى ضرورة إعادة الوحـدة بين العناصر اللبنانية عاهد الأمة وطالبها بالوفاء بعهدها للدستور غير المكتوب وهو الميثاق الوطني في تعاون لبنان ـ بصدق وإخلاص ـ مع شقيقاته الدول العربية إلى أقصى حدود التعاون لما فيه خيره وخيرها جميعا ، مقيما علاقاته مع العالم أجمع على أساس الصداقة والكرامة والتعامل المتكافئ الخ .

وقال : وإذا كان ميثاق جامعة الدول العربية التي نغتبط جميعا بازدياد نشاطها . وميثاق هيئة الأمم المتحدة . هما الدعامتان القويتان لاستقلال لبنان ، فإن الدعامة الكبرى تبقى في ميثاقنا الوطني في وحدة صفوفنا واجتماع قلوبنا .

ثم قال : إن ما يجري في المحيط العربي من نهضة في جميع نواحي الحياة لا بد من أن يقابله في هذا الوطن الذي كان دائما صاحب المبادرة في كل نهضة عربية ، بروح جديدة للتحرر والتوثب .

ولما انتهى خطابه مع دوي التصفيق أطلقت المدافع ٢١ طلقة تحية له . وانتقل مع رتل عظيم من سيارات الوزراء ورجال الجيش والنواب وأعضاء السلك السياسي إلى القصر الجمهوري فتسلم مفتاح القصر من كميل شمعون الذي خرج من قصر الجمهورية مواطنا عاديا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وخرج شعب لبنان إلى الشوارع يعلن فرحته ، فانطلقت الأعيرة النارية من الشعب والجيش تحية للعهد الجديد . وعلقت فى كل مكان صور الرئيس الجديد . والبطريرك المعوشى ، وجمال عبد الناصر ، وشكرى القوتلى . وألقت الطائرات الحربية اللبنانية منشورات طالبت فيها المواطنين بالمحافظة على الوحدة والقيام بأعباء الوفاء للوطن وسعادته .

سامى الصلح فى تركيا

لفظ الوطن العربى ابنه الآبق سامى الصلح ، فحملته طائرة الأميرال جيمس هولواى الأمريكى تحت ستار الليل قبل فجر يوم السبت ٦ ربيع الأول (٢٠ سبتمبر) من منزله فى قرية المنصورية قرب مصيف برمانا الجبلى فى شمال بيروت إلى قاعدة حلف شمال الأطلنطى الجوية فى أضنة بكليكيا . وأغلب الظن أنه سيقضى فيها بقية عمره كما أمضى فيها سنوات صباه ، لأن أباه كان مدير البريد والبرق فى تلك المدينة فى بداية هذا القرن ، ولعله ولد هناك . ولما توفى والده والتحق سامى الصلح بالمدرسة الثانوية التركية فى بيروت كان يؤثر الاختلاط بأبناء الأتراك أكثر مما يأنس بصحبة أبناء العرب ، وكان يحسن التركية أكثر مما يحسن العربية ، وكان معروفا يومئذ عند زملائه - ومنهم رئيس تحرير هذه المجلة - بأنه لا يصلح إلا للوظائف ، وأنه لن يرجى منه خير لقوميته العربية ، وهكذا عاد سامى الصلح إلى بيئته الأولى التى منها نشأ وفيها درج .

مؤامرات الخيانة والاستعمار

تبين من التحقيقات والمحاكمات والوثائق المكتشفة فى العراق أن سوريا كانت مطمح أنظار الاستعمار ، لسحق الحيوية العربية الكامنة فيها . وقد اشترك فى التآمر عليها ست دول : أمريكا ، وانجلترا ، وتركيا ، واسرائيل ورجال الحكم البائد فى العراق ، ورجال الحكم الآيل إلى الزوال فى الأردن . وكان دور أمريكا وبريطانيا فى المؤامرة المشاركة فى وضع الخطط وتقديم المساعدات المالية اللازمة ومد عناصر المؤامرت بالسلاح . وكان دور تركيا حشد قواتها على حدود الإقليم السورى عند بدء تنفيذ المؤامرة . أما دور إسرائيل فهو الاشتراك فى الهجوم على الحدود السورية . وكانت الأردن تشارك فى تكديس الأسلحة على حدود سوريا والعراق ، وتساهم فى توزيعها على العشائر البدوية ، وتهيئ قوات من الجنود البدو المسرحين من الجيش الأردنى ليتطوعوا فى عمليات الفتنة التى كانت الدول الست ترسم لها مختلف الخطط .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مشكلة اللاجئين العرب

نشرت صحيفة (تاج زايتونج) النمسوية حديثا للجنرال بيرنز قائد قوة الطوارىء الدولية قال فيه : « إن الاضطرابات قد تشتعل من جديد فى الشرق الأوسط قبل مضى وقت طويل ، والسبب الرئيسى لذلك هو مشكلة اللاجئين العرب فى فلسطين ، إذ مادامت هذه المشكلة باقية بغير حل سيصبح من المستحيل إزالة المرارة التى يحس بها اللاجئون العرب »

تقرير نظام العراق

قال الزعيم عبد الكريم قاسم رئيس وزراء الجمهورية العراقية فى حديث له مع فريق من كبار الشخصيات : إننا نجتاز الآن فترة انتقال وسوف نجرى استفتاء شعبيا بعد رفع مستوى الشعب ، حتى تتمكن الأمة من تقرير شكل الحكومة التى ترغبها .

وقال فى جمع من كبار رجال الدين المسلمين إننا سنعمل جاهدين على أن نتحد كأمة ، فإن الأجانب يحاولون إيجاد ثغرة فى صفوفنا لتحقيق مطامعهم فى التفرقة بيننا وتقسيمنا إلى شيع متقاتلة .

إننا لن ندع الأجانب وأذنابهم ينجحون فى إحداث صدع فى جبهتنا ، وان نمكنهم من التدخل فى شئوننا الداخلية أو الخارجية . إن العراق يرغب فى أن يكون صديقا للجميع ولكننا نرفض أى اعتداء على سيادتنا .

وسأله أحد رجال الدين : ماهى الإجراءات التى تتخذها الحكومة لمكافحة الشيوعية والمبادىء الهدامة ؟ فأجابه : إن الاستعماريين دأبوا على اتهام كل حركة وطنية بأنها نشاط هدام ، ولكننا شعب له دينه وعقيدته وإيمانه بالله ، ولن ترهبنا المبادىء الشيوعية أو الأمريكية أو البريطانية .

اتحاد تعاونى عام

اتفق قادة الحركة التعاونية فى إقليمى الجمهورية العربية المتحدة على الاشتراك فى وضع القاعدة الأساسية للاتحاد التعاونى العام للمنطقة العربية من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى

فقد استقر الرأى على توحيد النظام التعاونى فى الأقليمين ، وصدر بذلك قرار جمهورى يسمح بإقامة اتحاد عام للجمعيات التعاونية فى الجمهورية ، وستنص لائحة هذا الاتحاد على أن الباب مفتوح لانضمام كل اتحاد تعاونى فى جميع البلاد العربية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عـــدد ممتاز

الجزءان (الرابع والخامس)

ربيع الآخر ، جمادى الأولى سنة ١٣٧٨ هـ

المجلد الثلاثون

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

زعيم العروبة والإسلام

الرئيس جمال عبد الناصر

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة

رقم ١٣٥٧ لسنة ١٩٥٨
بتعيين شيخ الجامع الأزهر

رئيس الجمهورية :

بعد الاطلاع على المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنه ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والقوانين المعدلة له .

وعلى القرار الجمهورى رقم ١٠١١ لسنة ١٩٥٨ بتعيين ممثلى الجمهورية العربية المتحدة فى مجلس اتحاد الدول العربية .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قـــرر

(المادة الأولى)

عين الأستاذ الشيخ محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر شيخاً للجامع المذكور بدلا من الشيخ عبد الرحمن تاج الذى عين عضوا فى مجلس اتحاد الدول العربية .

(المادة الثانية)

على وزير الدولة تنفيذ هذا القرار .

صدر برياسة الجمهورية فى ٨ ربيع الثانى سنة ١٣٧٨ (٢١ أكتوبر سنة ١٩٥٨)

(جمال عبد الناصر)

صورة مرسلة إلى مشيخة الجامع الأزهر

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

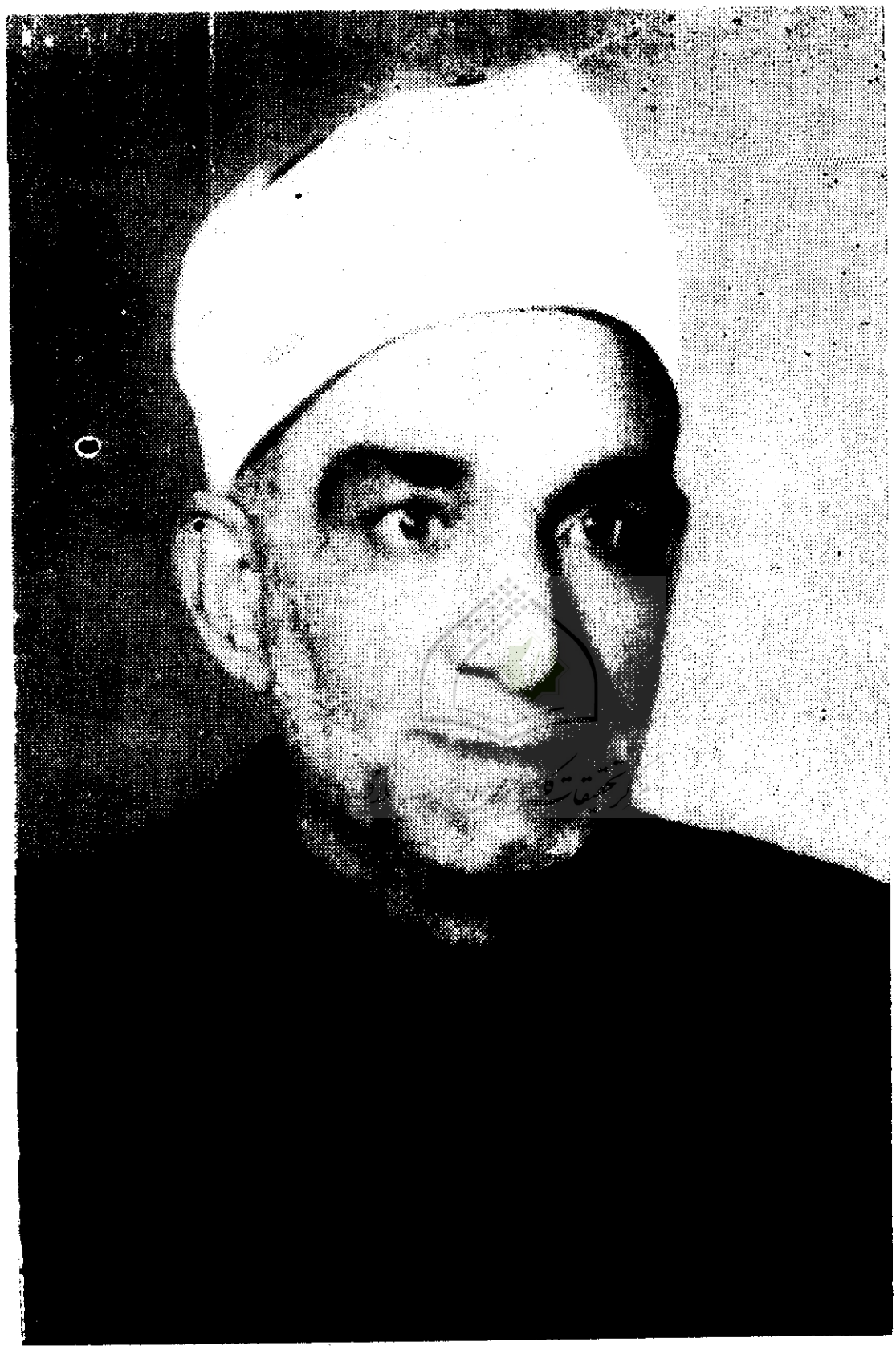

صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

إلى فضيلة الأستاذ الأكبر
شيخ الجامع الأزهر

لقد أدبك ربك وهذبك وعلمك ، وزادك بسطة فى العلم ونبوغا فى فهم كتابه ، وإدراك أسرار سنة نبيه ، ووجهك للاتصال بكل الهيئات ، وتعرف أحوال جميع الطبقات ، ومنحك عقلية فحول العلماء وذكاء الحكماء ، وآتاك كل مؤهلات الاستنباط والاجتهاد حتى صرت بحق إماما فى هذا العصر ، وحجة فى دين الإسلام لجميع المسلمين . ولقد أسبغ الله عليك النعمة بإسناد منصب مشيخة الأزهر إليك ، وهو منصب جد خطير ، ولكنك وأيم الله له أهل وبه جدير .

وكأن الله قد ادخرك لهذا المنصب فى هذا الوقت الذى تكاثرت فيه الفتن وأحداث الشر فى الدنيا والدين ، وأحيط بالأزهر فضعف وضعف وبلغ منه الضعف حتى افتقر فى الرجال أو أقفر ، وكاد يتهالك ويلفظ النفس الأخير ، ولكن عناية الحكيم العليم شملته ، ولطف اللطيف الخبير أدركه بتعيينك شيخاً له أحوج ما يكون إلى مشيختك ، وإماما للمسلمين أحوج ما يكونون إلى إمامتك . وكان ذلك على يد زعيم العروبة والإسلام : جمال عبد الناصر الذى يجزل له المسلمون الشكر على هذا الاختيار الموفق .

أى شيخ الأزهر :

أنت فذ فى عبقريتك ، مكين فى عقيدتك ، قوى فى دينك ، كريم فى خلقك ، شجاع فى الحق ، وقد آتاك الله سلطان الدين ، ووضع فى يدك راية الإسلام ، فارفعها فى الخافقين بمحاربة الإلحاد والضلال ، وبيان الحرام من المعاملات والحلال . وإبلاغ دعوة الإسلام على وجهها الصحيح إلى الناس كافة ، ونشر الثقافة الدينية فى جميع بقاع الأرض حتى تعود للدين جدته وقوته ، وللأزهر عظمته ومكانته .

هذا يا فضيلة الأستاذ الأكبر مطلبى الوحيد منك وقد بلغت منتهى ما يصبو إليه رجل الدين ، وإن تحقيقه ليحتاج إلى مجهود جبار وعمل متواصل بالليل والنهار .

لهذا أضرع إلى الله الكريم الوهاب أن يمنحك السلامة والعافية ، ويتم لك الشفاء ، ويهبك كمال الصحة ، ويبعث فيك مزيداً من النشاط بعد أن قاسيت من المرض ما قاسيت ، وأن يجزيك عن هذا أجر الصابرين .

وإنى إذ أهنئك بمنصبك أو فى الحقيقة أهنئ بك المنصب الجديد ، أسأل الله أن يديم لك الرأى السديد ، ويمنحك المعونة والتأييد . ؟

عبد الرحمن عيسى

مدير المجلة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

شيخ الجامع الأزهر

فضيلة الأستاذ محمود شلتوت فقيه واسع الأفق . بصير بالأحكام الشرعية الملائمة لحاجات الناس ومقتضيات العصر ، ومفسر ملم بكتاب الله وسنن الكون ، وعالم اجتماعي يعرف أمراض المجتمع ووسائل علاجها ، حارب الجمود والعصبية المذهبية التي جعلت من المذاهب أديانا ، وفرقت بين المسلمين . وندد بفكرة غلق باب الاجتهاد في الشريعة الإسلامية واعتبره غلقا للعقول ، وتعطيلا لكتاب الله ، ومجافاة لنصوصه الداعية إلى البحث والنظر ، وله مدرسة في كل ذلك دفعت قافلة الفكر الإسلامي إلى الأمام . وله آراؤه الإصلاحية في النهوض بالأزهر الذي كافح في سبيل إصلاحه منذ سنة ١٩٢٤م حتى الآن .

ولد في ٢٣ أبريل سنة ١٨٩٣ م ، ببلدة منية بني منصور مركز إيتاي البارود مديرية البحيرة ، وبعد أن أتم حفظ القرآن الكريم التحق بمعهد الإسكندرية الديني سنة ١٩٠٦م ، وكان أول فرقته في جميع سني الدراسة ، وقد نال شهادة العالمية النظامية عام ١٩١٨ م ، وكان ترتيبه أول الناجحين فيها .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وبعد تخرجه عين مدرساً بمعهد الإسكندرية الديني عام ١٩١٩ م ، وقد تابع نشاطه العلمي في المعهد وفي الأوساط العلمية ، وفي الصحافة فيما يتصل بعلوم اللغة والتفسير والحديث وسائر العلوم الدينية ، ونادى بوجوب إصلاح الأزهر ، واستقلاله عن الجهات التي يخضع لها .

وفي سنة ١٩٢٧ م نقل مدرساً بالقسم العالي في القاهرة .

ولما عين المرحوم الشيخ المراغي شيخاً للأزهر سنة ١٩٢٨م تجاوبت فكرته الإصلاحية مع فكرة الشيخ المراغي في إصلاح الأزهر ، وأيد ذلك في عدة مقالات نشرت في صحيفة السياسة اليومية ، وغيرها من الصحف .

ثم نقل مدرساً للفقه الإسلامي بأقسام التخصص في الأزهر ، وفي سنة ١٩٣١م تعارضت آراؤه الإصلاحية مع المشرفين على سياسة الأزهر في ذلك الوقت ، وانتهى الأمر بفصله في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣١ م مع بعض زملائه ممن يؤمنون بفكرته الإصلاحية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

شيخ الجامع الأزهر

وبعد فصله تابع فضيلته نقده لسياسة الأزهر، ونشر أفكاره الإصلاحية بالصحف اليومية والمجلات، واشتغل بالمحاماة، والبحوث العلمية أثناء هذه الفترة إلى أن أعيد إلى الأزهر سنة ١٩٣٥ م وعين وكيلا لكلية الشريعة الإسلامية، ثم مفتشاً بالمعاهد الدينية.

وفى سنة ١٩٣٧ م مثل الأزهر فى مؤتمر لاهاى الدولى للقانون المقارن، وألقى بحوثا فى التشريع الإسلامى، وكان من أثرها أن قرر المؤتمر أن الشريعة الإسلامية، تشريع مستقل، وقائم بذاته، ويصلح مصدراً للتشريع فى كل زمان ومكان.

وفى سنة ١٩٤١ م قدم رسالة فى المسئولية المدنية والجنائية فى الشريعة الإسلامية، نال بها عضوية جماعة كبار العلماء بالإجماع، وكان أصغر الأعضاء سناً.

وفى سنة ١٩٤٢ م ألقى محاضرته الإصلاحية فى السياسة التوجيهية التعليمية بالأزهر.

وفى سنة ١٩٤٦ م اختير عضواً فى المجمع اللغوى.

وفى سنة ١٩٥٠ م عين مراقباً عاماً لمراقبة البحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر، ووضع أسساً لإصلاح المراقبة، ولعلاقة مصر الثقافية مع العالمين العربى والإسلامى، وغيرهما.

وفى سنة ١٩٥٧ م عين مستشاراً فى المؤتمر الإسلامى، ثم وكيلا للجامع الأزهر. وظل فى منصبه حتى صدر القرار الجمهورى باختياره شيخاً للأزهر.

وفضيلته فوق ذلك عضو فى اللجنة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية بوزارة التربية والتعليم، وعضو بالمجلس الأعلى للإذاعة، ورئيس للجنة العادات والتقاليد بوزارة الشئون الاجتماعية، وعضو فى اللجنة العليا لمعونة الشتاء.

وله محاضرات فى تفسير القرآن الكريم بدار الحكمة، ودور التعليم، والجمعيات، والهيئات.

كما يتابع فضيلته تفسيره فى مجلة رسالة الإسلام التى تصدرها دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ويتابع بحوثه الإسلامية، والاجتماعية على صفحات الجرائد، والمجلات وفى الإذاعة.

وله كتب ورسائل فى الدين، والاجتماع، والتشريع، من بينها:

فقه القرآن والسنة. كتاب مقارنة المذاهب. كتاب يسألون. الذى طبعته وزارة الثقافة والإرشاد، وكتاب منهج القرآن فى بناء المجتمع الذى طبعته وزارة الأوقاف. والمسئولية المدنية والجنائية فى الشريعة الإسلامية، والقرآن والقتال، والقرآن والمرأة، وتنظيم النسل، وتنظيم العلاقات الدولية فى الإسلام، والإسلام والوجود الدولى للمسلمين.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صدى تعيين فضيلة الأستاذ الأكبر
الشيخ محمود شلتوت شيخا للأزهر

استقبل العالم الإسلامى والعربى قرار زعيم العروبة والإسلام السيد الرئيس جمال عبدالناصر بإسناد منصب مشيخة الأزهر إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بمظاهر الفرح والابتهاج والثناء والشكر للسيد الرئيس ، وبالآمال الكبار التى يعقدها المسلمون على رائد الفكر الإسلامى فى العصر الحديث الشيخ شلتوت فى النهوض بجامعتهم الإسلامية الكبرى لتؤدى رسالتها على الوجه الذى يقوى الروابط الروحية والثقافية بين جميع الدول العربية والإسلامية .

وقد وفد على مكتب فضيلته ومنزله كثير من الشخصيات الكبيرة للتهنئة . وكذلك ورد على رياسة الجمهورية وعلى مكتب فضيلته ومنزله سيل غامر من البرقيات والرسائل من الجمهورية العربية المتحدة وجميع الدول العربية والإسلامية التى بعث بها الأمراء والوزراء ووكلاء الوزارات ومديرو الجامعات وعمداء الكليات وأساتذتها وشيوخ المعاهد الدينية وأساتذتها وموظفوها وطلابها ومديرو ورؤساء وموظفو المصالح الحكومية ، وكبار رجال الدين على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم ورجال العلم والفكر والأدب والقانون والطب والاقتصاد وسائر الهيئات والجمعيات والأفراد من مختلف الطبقات من مسلمين وغيرهم .

وهذه البرقيات والرسائل من أبرز الظواهر التى تدل على رقى الوعى العربى والإسلامى ونضوجه وكلها تدور حول أمور ثلاثة على جانب عظيم من الأهمية والسمو والخطورة .

أولها : شكر زعيم العروبة والإسلام الرئيس جمال عبد الناصر على هذا الاختيار الموفق .

ثانيها : تعلق المسلمين بجامعتهم الأزهرية وعظم مكانتها فى قلوبهم .

ثالثها : تقديرهم الكريم عن جدارة لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت وآمالهم العظيمة فيه ، بعد إسناد منصب مشيخة الأزهر إليه .

ونورد هنا بعض الكلمات الشعرية والنثرية التى اتسع لها المقام فى هذه المناسبة الكريمة ثم نتبعها ببعض مقتطفات من البرقيات معتذرين عن عدم نشر باقى الرسائل والبرقيات العديدة مع تقديرنا لشعور مرسليها وصدق عاطفتهم نحو الدين والأزهر وشيخه الجديد .

تهنئة وأمل

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

شيخ الأزهر الجديد

هل أنت آس جراح الأزهر العانى ... وموقظ لعلاه كل وسنان ؟
وهل لليل الحيارى فى غياهبه ... فجر بعهدك يهدى كل حيران ؟
وهل تعيد له ما ضاع من ثقة ... وما تبدد من عز وسلطان ؟
وهل ترى ينهض العملاق منتفضاً ... حراً أبياً عزيز الشأو والشان ؟
يعنو له الدهر إجلالا ويرهب أن ... يغشى حماه وما يعنو لإنسان
محمود عذر القوافى فى تساؤلها ... فلست مهما جفا قولى بخوان
كم راح غيرك مزهوا بمنصبه ... والتهنئات ولم ينهض ببنيان
لكن مثلك لا يزهى بتهنئة ... إلا على عمل مجد وإحسان
لما تجاوبت البشرى حملت لها ... قيثارتى بعد ما طهرت ألحانى
تزاحمت فى فمى للحق واستبقت ... لظل روض من الآمال فينان
أقول : ياشعر هذا الروض فانش به ... على الوفاء شذا روح وريحان
حق عليك فكم أعلاك منزلة ... وطالما شرفتنى منه أذنان
من لو يجر على طرس يراعته ... ثناك تعثر فى إغضاء خزيان
الألمعى الذى تكفيك لمحته ... فظنه ويقين الناس سيان
ومرهف الحس لم تخطئ مشاعره ... مشى النمال على ملساء صفوان
هنئه يا شعر واهتف فى خمائله ... واصدح بعصماء يرويها الجديدان
إن المعالى للأكفاء مفخرة ... وللدعيين نقص أى نقصان
ما كل من نالها أهل لتهنئة ... فقد تعزى إذا ما نالها وان
إن العلا لعروس إن خطبت لها ... من ليس كفئاً تردت ثوب أحزان

تهنئة وأمل

فى مهرجانك يا مولاى أبعثها ... عذراء تختال فى وشى وألوان
هام الربيع بها حبا فألف من ... أشتاتها زهره فى كل بستان
جاءتك بالأمل المرجو ناضرة ... فلا تدعها بلا ساق ولا حانى
أعد لأزهرنا قدسى منصبه ... فطالما اهتز من ذل وخذلان
وصد عنه تعلات يروجها ... مروج الزيف من زور وبهتان
ماذا جناه وقد أدى رسالته ... غير اصطبار على منع وحرمان
إنا لفى زمن الأحرار فامض به ... حراً شجاعاً يرجى عدل شجعان
وقل لهم إنه قومية جمعت ... شمل العروبة قدماً منذ أزمان
فكيف يهضم دون الجامعات له ... حق ويبخس فى كيل وميزان ؟
اجعله جامعة معنى وتسمية ... فما نعلل عن حق بعنوان
أوعد به جامعاً تغنى قداسته ... عن الحطام حطام المظهر الفانى
وألق فى مسمع الدنيا بصيحته ... حتى يردد مسراها السما كان
ولا تخيب رجاء فيك منعقداً ... فأنت أدرى بآلام وأشجان
لاحت مخايل إصلاح بدأت بها ... فأتمم الخير تغنم كل شكران

حسن جاد

المدرس بكلية اللغة العربية

« من قصيدة للأستاذ محمد صالح الريدى المشرف العام على جمعيات تحفيظ القرآن الكريم »

ومشيخة الإسلام ترفع بندها ... لمحمود شلتوت علياً وضافيا
لك الله عبد الناصر اخترت عالما ... إماما يفى للعلم هيمان صاديا
ومحمود شلتوت طوال حياته ... نراه إلى حفظ المنزل داعيا
وفى الأزهر المعمور جلجل صوته ... وأصبح فى إقليمى القطر عاليا
هناء له والمسلمين بفضله ... عهدناه دوما جاهدا متفانيا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تحية لشيخ الأزهر

إنه لرأى عام ـ وليس هو بالرأى الخاص عندى ـ أن رسالة الجامع الأزهر فى المستقبل أهم وأعم من رسالته فى الماضى منذ نشأته .

كانت رسالته فيما مضى رسالة تسجيل وتعليم ، ولكنه اليوم لا تقنعنا منه رسالة دون رسالة الإنشاء والتوجيه .

وكان يحيط بالعلم كله إلى عهد غير بعيد ، أما اليوم فالعلم أوسع من أن يحاط به فى معهد واحد ، وألزم من أن يستغنى عنه بجزء منه .

وكان الجامع الأزهر يمضى فى رسالته والأديان مقبلة والزندقة مولية ، ولكنه اليوم يتولاها والأديان فى موقف دفاع ، بعضه أمام الخصوم المنكرين ، وبعضه أمام الأتباع والأشياع .

إنما ينهض برسالة الأزهر فى عصرنا هذا رجال على علم بالعلم المطلوب ، وفى طليعة هؤلاء الرجال من أبنائه صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر « الشيخ محمود شلتوت » .

أعانه الله ، وحقق له ما يرجوه وما يرجى على يديه .

عباس محمود العقاد

تهنئة خالصة

مهداة إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

العلم عوفى إذ عوفيت والأدب ... وزال عنك إلى أعدائك الوصب

وأنت من علماء الدين قائدهم ... سيان إن كتبوا فى الدين أو خطبوا

والمجد للدين والعرفان مرجعه ... وليس مرجعه مال ولا نشب

فالعلم يزكو على الإنفاق كوثره ... والمال يدركه إن ينفق العطب

ذكرتنا بالمراغى فى مجادته ... فإن مجدك موروث ومكتسب

وأزهر الدين قد مالت به عمد ... فالله يرسى بكم ما منه يضطرب

أحمد شفيع السيد

كلية اللغة العربية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صحيفة الجمهورية

الأزهر وشيخه الجديد

منصب شيخ الأزهر من أهم مناصب الدولة . فالأزهر حقيقة علمية دينية يحف بها تاريخ مهيب ، كان منذ إنشائه ملتقى للثقافات الإنسانية العالية على اختلافها . ومارس حرية الفكر والبحث قبل أن تمارسها أية جامعة من جامعات العالم . وعانى علماؤه الاضطهاد فى سبيل الرأى والإيمان . وضربوا أعظم الأمثلة على تحمل المكاره فى سبيل ما يعتقدون أنه حق وصواب . وقد ظل الأزهر أكثر من ألف سنة مركز الإشعاع الروحى والذهنى للعروبة والإسلام ، وكانت ساحاته ، وأروقته تحتشد بأبناء الشعوب الإسلامية فى المشرق والمغرب حتى ليمكن أن يقال إنه كان وحده جامعة عربية وقومية عربية وعنصر المقاومة الفعالة للاحتلال الفرنسى والاحتلال البريطانى ، ومن الأزهر انبعثت الثورات والانتفاضات القديمة ، وانبعث الثائرون والمنتفضون القدامى .

هـــذا الأزهر ذو التاريخ الحافل والجاه العلمى والدينى يعد بالنسبة إلينا ثروة ضخمة لا ينبغى أن نبددها ، أو نجمدها ولكن يجب أن ننميها . يجب أن نعد المشروعات لكى نرد للأزهر مكانته كجامعة علمية كانت منذ ألف سنة تسير على أحدث النظم التى تسير عليها الجامعات العالية الآن ! يجب أن نوفر للأزهر الضمانات التى تحفظ عليه وقاره الدينى فلا نفتح أبوابه لمن لا يجد غير هذه الأبواب ، وإنما تفتح أبوابه لمن يصلون فى استعدادهم الذهنى والروحى إلى مستوى لا يصل إليه الناس العاديون .

وقد سرنى اختيار فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخاً للجامع الأزهر ، فهو أحد علمائنا الأزهريين الذين جمعوا بين التعمق فى فهم الدين والإيمان به ، والتعبير عنه .

وأعتقد أن الرسالة المطلوب من الأزهر أن يؤديها للدين ، هى الفهم الصحيح والإيمان الصحيح ، والتعبير الصحيح .

كامل الشناوى

إلى فضيلة الأستاذ الأكبر
شيخ الجامع الأزهر

بمثلك دين الله تقوى أواصره ... وتزهى إعلى مر السنين شعائره
فما أنت إلا عالم عز مثله . . ... كما بين هذا الترب عزت جواهره
وكيف يطل الخطب فى أفق أزهر ... وفى كفك البيضاء ، صارت مصائره
فلله در الشيخ لما أتى له . . ... مضى يتباهى فى البرية حاضره
وقد عم نور البشر كل رحابه ... وكبر للولى ، وقرت نواظره
فيارب ليل وجهه قلب كافر ... لمقدم هذا النور ، ولت دياجره
وقد أصبحت فيه الفضائل تزدهى ... وتزرى بأفلاك السماء مفاخره
وقد كان قبل اليوم يندب حظه ... يكفكف دمع الحزن، إذ عز ناصره
فأنت له من رقدة الموت ناشر ... كأنك إسرافيل ، والله آمره
هنيئا لنا بالفوز ، والمجد ، والعلا ... وأهلا ، بمن كل القلوب تؤازره
فيا عالما مد الأنام بفيضه ... لك القلب كنز ، أنت فيه ذخائره
أتتك المعالى وهى تخطو حثيثة ... ومن غيركم تلك المعالى تصاهره ؟
فللناس بحث كل حين تزفه ... تضوع بنشر المسك فيهم أزاهره
كبدر الدجى فى الأفق عم ضياؤه ... على صفحات الشعب كم لاح خاطره
فكم مشكلات خضت فيها بحكمة ... فكان لكم فيها من الرأى باتره
ففى الحق صولات وفى العلم مثلها ... وكل عصى فى يديك سرائره
وأنت لطلاب المعارف مورد ... يموج بنور ، أعجز الطرف آخره
لقد جندتك اليوم نفس أبية ... فقم لظلام الجهل ، إنك قاهره
وأزهرنا المعمور فى عيد بهجة ... ترف به الآمال ، ما انفض سامره
أطل منيعا منذ وليت أمره ... وأمسى عزيز الركن من ذا يكابره ؟
فدام إمام العلم فى ثوب صحة . . ... وحلت بناديه الأمانى تجاوره !

عبد الله أبو عيد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأستاذ الأكبر

الأستاذ الأكبر محمود شلتوت، من ذوى الآفاق الطيبة المتعددة التى يتسع فيها القول . أتحدث اليوم بإيجاز فى تهنئته عن واحد منها فى هذه المناسبة الكريمة . بوضع ذلكم العظيم فى موضعه الكريم من مشيخة الأزهر هذا الوضع الذى أهنئ به العالم الإسلامى ، أجمع الذى كان منتظراً ذلك الجليل شيخاً للأزهر والإسلام . تاركا آفاق الإصلاح التى يرتجيها على يده إلى كلمات آتية إن شاء الله .

لعل أوضح خصائص النابهين من أعلام الإسلام مثل الأستاذ العظيم هو سعة تفكيرهم فى معانى القرآن الذى هو دستور الإسلام إلى يوم الدين ، هذه السعة التى أختصها بحديثى عن الشيخ اليوم ، هى التى ترجمها الشيخ الأكبر المراغى فى وصفه أستاذه الإمام محمد عبده من أفقه القرآنى ـ بقوله :

« أعتقد أننا إذا جاوزنا عصر السلف الصالح لا نجد رجلا رزق فهما فى هداية القرآن ، ووسع صدره أدق معانيه الاجتماعية والعمرانية مثل الإمام محمد عبده . . . » .

لم ينقطع هذا الفيض القرآنى بعد عصر الإمام محمد عبده ، بل اتصل حاضره بماضيه وآخره بأوله ، فقد ربط الشيخ الأكبر محمود شلتوت بين عهده وبين عهد الإمام ، وبين طريقته وطريقته بعروة وثقى لا انفصام لها ، فكان طليعة وارثيه فى استقامته على طريقة الإصلاح بالقرآن للعقائد الدينية ، وللمجتمع الإنسانى .

درست ـ ولا أقول قرأت ـ « كتيبا » فى حجمه ، ولكنه سفر كبير فى معناه . وضعه الشيخ الأكبر شلتوت ، وسماه : « منهج القرآن فى بناء المجتمع » وما أصدق ما قالوا : الكتاب يقرأ من عنوانه .

فلقد استبطن الشيخ أسرار القرآن وحكمه . وسار فى سبيله متوكئا على آيات الذكر الحكيم فى كل غدواته فى الكتاب وروحاته . وفى كل أحاديثه فيه ومحاضراته . وإذ بك أمام مجتمع جديد ، انتزع الشيخ صوره من كتاب الله فى قول حكيم ، وتوجيه سليم ، يتنقل بك من أساس القرآن فى رباط المجتمع . إلى التبتل فى نظر القرآن . إلى التكالب على الدنيا وعلاجه ، إلى الروحية والمادية المهذبتين . إلى أن الإسلام دين العقل والعلم . إلى فقه التضامن الاجتماعى وحقيقته . إلى المال ووظائفه فى الحياة ، وأساليب القرآن فى الدعوة إلى الإنفاق ، إلى التسول المهين وعلاجه ، إلى عناية الإسلام بالأيتام والضعفاء ، إلى معانى التفرقة وحقائق

الاتحاد وكيف يكون الاعتصام بحبل الله . إلى غير أولئك وأولئك مما وعاه صدر الشيخ من أسرار القرآن وبنى به مجتمعاً إنسانياً كريما .

وبعد فلقد قال الإمام محمد عبده فى تفسير كتاب الله : « فهم القرآن متوقف على فهم العالم . . . فلا يمكن فهمه إلا بفهمهم أيضا » .

وعلى هذا الأساس كان يفسر القرآن . وهكذا رأيت الشيخ الأكبر شلتوت فى منهاجه القرآنى . إنه يفهم قومه ويفهم القرآن ، ولذلك استطاع أن يضع لهم دستور إصلاح قرآنى كريم ؟

حسن الشيخة

إلى الأستاذ الأكبر

الله أكبر عم النصر وادينا ... بشراك يا قلب قد وافت أمانينا
وافت مع الشيخ شلتوت تهنئنا ... باسم الشريعة وانجابت دياجينا
لما اعتلى المنصب المرموق مال به ... تيها وأقبلت الدنيا تحيينا

* * *

يا حامى الدين تكريما وتهنئة ... لك التهانى زففناها رياحينا
تعال محمود وأشدد أزر نهضتنا ... وألف القوم كى تحيا معانينا
جدد فإنا إلى التجديد فى شغف ... وانظر لخريجه وانشر به الدينا

محمد أحمد الشال

مدرس بمدرسة الإيمان الإعدادية

بشبرا

الاتحاد وكيف يكون الاعتصام بحبل الله . إلى غير أولئك وأولئك مما وعاه صدر الشيخ من أسرار القرآن وبنى به مجتمعاً إنسانياً كريما .

وبعد فلقد قال الإمام محمد عبده فى تفسير كتاب الله : « فهم القرآن متوقف على فهم العالم . . . فلا يمكن فهمه إلا بفهمهم أيضا » .

وعلى هذا الأساس كان يفسر القرآن . وهكذا رأيت الشيخ الأكبر شلتوت فى منهاجه القرآنى . إنه يفهم قومه ويفهم القرآن ، ولذلك استطاع أن يضع لهم دستور إصلاح قرآنى كريم ؟

حسن الشيخة

إلى الأستاذ الأكبر

الله أكبر عم النصر وادينا ... بشراك يا قلب قد وافت أمانينا
وافت مع الشيخ شلتوت تهنئنا ... باسم الشريعة وانجابت دياجينا
لما اعتلى المنصب المرموق مال به ... تيها وأقبلت الدنيا تحيينا

* * *

يا حامى الدين تكريما وتهنئة ... لك التهانى زففناها رياحينا
تعال محمود وأشدد أزر نهضتنا ... وألف القوم كى تحيا معانينا
جدد فإنا إلى التجديد فى شغف ... وانظر لخريجه وانشر به الدينا

محمد أحمد الشال

مدرس بمدرسة الإيمان الإعدادية

بشبرا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مجلة المصور :

تقـــدير

أريد أن أهنئ المسلمين فى سائر أنحاء الأرض باختيار فضيلة الأستاذ الأكبر محمود شلتوت شيخاً للجامع الأزهر .

إنه نبأ يستحق التهنئة حقاً ؛ لأن صدر شيخ الإسلام الجديد يحمل آفاقاً واسعة للإصلاح منذ زمن بعيد .

وأنا أعرف الشيخ شلتوت منذ سنوات طويلة . منذ كنت مراقباً للبرامج الثقافية بالإذاعة المصرية ، وكان فضيلته يقدم أحاديث الصباح الدينية .

وأشهد أن أحداً من محدثى الصباح لم يصب شيئاً من النجاح الكبير الذى أصابه الشيخ شلتوت فى تاريخ الإذاعة المصرية ، بصوته القوى المؤمن ، حتى لقد كان المستمعون يطالبون بأن تكون أحاديث الصباح وقفا عليه .

ولعل القراء يذكرون أن أستاذنا فكرى أباظه قد بدأ منذ عامين حملة إصلاحية على صفحات (المصور) بعنوان (إنى أتهم) وقد خص الأزهر بإحدى مقالات هذه الحملة .

ثم تابعتها أنا ، فكتبت أكثر من عشرين مرة أنهم الأزهر بالقصور فى أداء رسالته نحو المسلمين هنا وفى سائر أنحاء العالم .

وأذكر أن الشيخ شلتوت تفضل ذات مرة بزيارتى فى أثناء هذه الحملة ، مدافعا عن الأزهر وتحدثنا يومئذ حديثا طويلا لم يخف فيه الشيخ شلتوت أن فيه قصوراً فى أداء الرسالة ، وأن هناك أبوابا كثيرة يجب أن تطرق فى سبيل الإصلاح المنشود .

واليوم . . . آن أن تفتح هذه الأبواب ، فليستبشر المسلمون ؟

جودت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صحيفة المجلة -

الحق أقول لكم

شيخ الأزهر :

يعرف فضيلة الأستاذ الأكبر ما تكنه له « المجلة » من إجلال ، وما يضمره رئيس تحريرها لفضيلته من إعجاب واحترام .

والمحبون للأزهر . هذه المنارة الرفيعة من منارات العرفان فى العالم ، يتوقعون الكثير من تولى فضيلة الشيخ محمود شلتوت لشئون جامعتنا الدينية الكبرى .

ويبدو أن الحادبين على الجامع الأزهر يختلفون بقدر عددهم على مناهج الإصلاح ، مع أن الأمر يجب أن يكون أيسر مما نتصور جميعاً .

فنحن لا نريد للأزهر أن يتحول إلى جامعة علمانية . ولا نطالبه بأكثر من أن يخرج علماء يعيشون فى زمانهم ، أى فى النصف الأخير من القرن العشرين ، يفهمونه بقدر ما يفهمون رسالتهم الإنسانية السامية ؛ لأن أداء هذه الرسالة يقتضيهم أن يعرفوا زمانهم تمام المعرفة وأن يكونوا خبيرين بكل مشكلاته الروحية والمادية ، وأن يتحكموا فى اللغات الأجنبية وفقهها تحكما يسمح لهم بالاتصال المباشر بالمسلمين وغير المسلمين فى أنحاء الأرض ممن يتحرك لسانهم بغير اللغة العربية .

ومعنى هذا تعديل شامل فى أساليب الدرس والتدريس ، وتغيير جوهرى فى المناهج ، وتوسيع لأفق الاطلاع يهيئ الطالب الأزهرى لتأدية رسالته على الوجه الذى يحقق حاجات الناس ، ويتمشى مع روح العصر ؟

دكتور

حسين فوزى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صحيفة الزمان الليبية :

تعيين شيخ للجامع الأزهر

أصدر الرئيس جمال عبد الناصر مرسوما بتعيين فضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخاً للجامع الأزهر الشريف بدلا من الشيخ عبد الرحمن تاج الذى أسندت اليه وظيفة سامية فى الجامعة العربية .

والشيخ شلتوت يعتبر من كبار العلماء العاملين وله منزلة عظيمة فى جميع الأوساط الدينية والعلمية حيث يتمتع بتقدير الجميع ـ وقد كان لتعيينه أثر طيب فى أوساط الأزهر الشريف وكلياته .

وقد انهالت عليه التهانى من سائر الأقطار الإسلامية . وتعتقد الأوساط العلمية أن فضيلته سيدخل تحسينات جوهرية على أنظمة الكليات وغيرها من المرافق التابعة للأزهر .

تهنئة وتقدير

داعب البشر والرضى شفتيه ... شاكراً ربه على نعمتيه
ثائر الأمس زاده الله علما ... شع نور الجلال من عارضيه
واصطفاه الرئيس خير مشال ... تحتذيه الرجال فى أصغريه
بارك الله فى الرئيس دواما ... وجرى الخير دافقاً من يديه
أيها الثبت فى زمان تهاوى ... فيه رأى الحصيف من جانبيه
إنما الأزهر العتيد منار ... يقتبس المشرقان من طرفيه
فاجعل الدرس ضافياً فى وضوح ... كالذى كان يوم سرت إليه
مثل شلتوت لا يغر بمدح ... بارك الله فى مدى قوتيه

(من قصيدة للأستاذ)

محمد كامل شلش

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العالم العربى والاسلامى

يشكر الرئيس ويهنئ ويعقد الآمال

(مقتطفـــات)

نورد هنا مقتطفات من بعض آلاف البرقيات والرسائل الواردة من سائر الأقطار والهيئات التى لم يعرف الأزهر فى تاريخه القديم والحديث شيخا قوبل بمثلها ، والتى تدل على اجتماع قلوب العرب والمسلمين ، وتلاقيها حول هذا القرار الحكيم ، وعلى إيمانهم برسالة الأزهر السامية فى العالمين العربى والإسلامى .

من برقيات الجمهورية العربية المتحدة :

الإقليم الجنوبى

كليات الأزهر ومعاهده :

ـ نشكر منقذ مصر والعروبة وحامل لواء الحرية والسلام فى العصر الحديث على رعايته للأزهر ورعاية مجده العظيم بإصدار القرار الجمهورى بتعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخاً للأزهر .

* * *

ـ رعاك الله يا زعيم العروبة وحياك ومكن للأزهر فى كل ما يرجوه المسلمون منه فى أيامك الغر وحياتك المباركة .

* * *

ـ أدخلتم السرور على قلوب المسلمين وأثلجتم صدور الأزهريين بإسناد مشيخة الأزهر إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت .

* * *

ـ نرفع آيات الولاء والاعتراف بجميل عنايتكم بالأزهر بإسنادكم منصب رياسته للعالم الفاضل الشيخ شلتوت . . . وندعو الله جلت قدرته أن يديم عليكم نعمة التوفيق ويجزيكم عن الإسلام والأزهر خير الجزاء .

* * *

صدى تعيين الشيخ شلتوت

جبهة علماء الأزهر :

ـ توليكم مشيخة الأزهر إحياء لمجد الأزهر وإعزاز للإسلام واسترداد لحقوق الأزهر وهى نعمة من الله تستحق الشكر وتتم النعمة بدوام التوفيق إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين، وإن جبهة العلماء التى تعرف فيكم المثل العليا والتى طالما عقدت الآمال على أن يشغل هذا المنصب الخطير مثلكم علما وغيرة على الأزهر والإسلام لتنتظر الخير الكبير .

* * *

الوعظ :

ـ أصدق آيات الشكر على تفضل الرئيس باختيار صاحب الفضيلة الشيخ شلتوت شيخا للأزهر لما عرف عن فضيلته من جهوده الموفقة فى سبيل الدين والنهوض بالأزهر .

* * *

ـ إسناد رياسة الأزهر إلى فضيلتكم تحقيق لأمل العالم الإسلامى .

* * *

الجامعة ورجال التربية والتعليم :

ـ ماضيكم الحافل وتجاربكم الواسعة وذكاؤكم الوقاد ، وجهادكم الدائم وتوفر كل ما تحتاج إليه مهمة القيادة الدينية فى الوقت الحاضر فى شخصكم الجليل كل أولئك جعل اختياركم لمنصب مشيخة الأزهر اختيارا موفقا .

* * *

الشبان المسلمون :

ـ نرجو للأزهر فى عهدكم أن يجدد دين محمد ويعلم المسلمين معنى الجهاد فى الدين .

* * *

رجال القضاء :

ـ العالم الإسلامى ينظر إلى فضيلتكم نظرة المصلح فأعيدوا للأزهر مجده ونضاره والله معكم .

صدى تعيين الشيخ شلتوت

اتحادات الأزهر بالأقاليم :

اجتمع رؤساء اتحادات خريجى الأزهر بالأقاليم فى دار الاتحاد العام بالقاهرة مساء الأربعاء ٥ / ١١ / ١٩٥٨ وقرر المجتمعون انتداب وفد منهم يقوم بتمثيلهم فى تهنئة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت، شيخ الجامع الأزهر .

كما قرروا ما يأتى :

١ — إرسال برقيات شكر للسيد رئيس الجمهورية العربية المتحدة على ثقته الغالية بفضيلة الأستاذ الأكبر .

٢ — تجديد الثقة الغالية بالسيد رئيس الجمهورية والوقوف خلفه صفاً واحداً حتى يحقق للعرب آمالهم وللشرق أهدافه .

٣ — تسجيل أسمائهم بديوان التشريفات بسراى القبة للشكر على هذا التوفيق .

جمعية أنصار السنة المحمدية :

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ـ نرفع لفضيلتكم أخلص التهنئة بتوليكم منصب مشيخة الأزهر الشريف ونشكر لسيادة رئيس جمال عبد الناصر كريم اختياره الموفق المشكور ، وإن مواقف فضيلتكم المشرفة فى إصلاح العقائد لتحملنا على اليقين بأن نور الكتاب والسنة سيمحو فى عهدكم المشرق البدع والخرافات ويعيد للدين جلاله وإشراقه .

* * *

رجال الدين المسيحيون واليهود :

ـ تهانينا لمنصبكم الهام وفقكم الله للسلام والمحبة لخير الإنسانية والوطن .

ـ تحقق ما كنت آمله ، وإنى أدعو الله مخلصا بأن يكلأكم بعينى رعايته ويمدكم بروح منه حتى يتم هذه الرسالة بما أوتيت من فضل وعلم وحكمة ، وأن ينفع بك الإسلام والمسلمين وتوحيد كلمة العرب .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صدى تعيين الشيخ شلتوت

من الإقليم الشمالى

الوزراء :

ـ أطيب التمنيات للأزهر فى عهدكم .

* * *

رجال القضاء والإفتاء :

ـ تعيينكم لمشيخه الأزهر الشريف رجاء منتظر وحسنة لرئيسنا المحبوب تذكر فتشكر حقق الله الآمال .

ـ نهنئكم بما تفضل الله عليكم وعلى المسلمين بتوليكم مشيخة الأزهر ، راجين من الله أن يرفع بحسن توجيهكم ورعايتكم شأن الإسلام والمسلمين .

* * *

رجال الجامعة :

ـ مشيخة الجامع الأزهر مشيخة الإسلام ، وقد اكتملت فى فضيلتكم من الصفات والكفاءات ما جعلكم أهلا لتتعتوا بشيخ الإسلام . . . أبقاكم الله ذخراً للإسلام ، وعلماً فذاً من أعلامه العظام .

* * *

رجال التربية والتعليم :

ـ تعيين لاقى محله ، نهنئ الأمة العربية والإسلامية ، ونهنئ أنفسنا أبقاكم الله ذخراً للعرب والمسلمين .

* * *

رجال الإذاعة :

ـ أرجو من الله عز وجل أن يأخذ بيدكم إلى مافيه الخير والفلاح .

ـ بمثلكم يهنأ المنصب الخطير ، وقد ادخركم الله لعهد الثورة الناهضة ، فأحيوا الأمل وحققوا الرجاء ، سدد الله فى الإصلاح خطاكم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صدى تعيين الشيخ شلتوت

من الأقطار العربية والإسلامية

العراق

- المكان بالمكين ، تسلمكم المنصب بعث لحياة الأزهر ، وازدهاره حقق الله بكم آمال المسلمين بلم الشعث وانطلاق دعوتهم الحقة .

* * *

الكويت

من الأمراء :

- يسرنا أن نقدم إليكم خالص التهاني بتسلمكم المنصب الخطير ، داعين لكم بالمزيد من التوفيق والسداد فى خدمة العروبة .

من رجال التعليم :

- نهنئ الأزهر بكم .
- ندعو لكم بدوام التوفيق لتصلوا بالأزهر إلى المكانة المرموقة .
- نرجو الأزهر الشريف على يديكم كل تقدم وازدهار ، وفقكم الله لما فيه صالح العروبة والإسلام .
- نبارك الأزهر والعالم الإسلامى .

* * *

قطر بالخليج الفارسى

- توليكم لمشيخة الأزهر رد الأمر لأهله ، فلا زالتم علم الإسلام وإمامه ولسانه .
- أخلص التهانى والدعاء بالتوفيق .

* * *

المملكة العربية السعودية

- نهنئ الأزهر بكم .

* * *

صدى تعيين الشيخ شلتوت

الطائف :

ـ تهنئتي القلبية وفقكم الله .

السودان

ـ الشيخ شلتوت هو الرجل الأول فى هذا الوقت بين علماء العالم الإسلامى فإسناد أمر الأزهر إليه ، وهو الرجل الواسع الأفق الشديد الغيرة ، الخبير بمواطن الضعف فى الأزهر خاصة ، وفى العالم الإسلامى عامة ، لا شك أنه خطوة واسعة ثابتة لتقدم الأزهر .

* * *

لبنـــان

مفتى الجمهورية

ـ نهنئ فضيلتكم بالمنصب الجليل ، راجين فى عهدكم المشرق وما نعهده فيكم من تجديد وإصلاح ، الخير العميم ، داعين لكم بالتوفيق والسداد .

قبيلة اللقلوق

ـ نشكر سيادة الرئيس ، ونهنئ الأزهر والمسلمين بكم والله يوفقكم .

رجال التربية والتعليم

ـ أهنئكم راجيا لكم التوفيق للقيام بأمر المشيخة العظمى .

* * *

المغرب العربى

ـ نهنئكم بمنصبكم العظيم ونتمنى للأزهر وللمسلمين عامة فى عهدكم ما يعيد للإسلام مجده وللدين قدسيته .

ـ إن سرورنا بإسناد المنصب الإسلامى الخطير لفضيلتكم ليتضاعف لما لكم فى النفوس من مكانة ، وما تتمتعون به من سمعة حميدة ، وما تعرفون به من تفقه فى الدين ، وسعة فى الاطلاع ، تجعلكم حجة وثقة ، ومرجعاً أميناً ، ورائداً حكيما .

ـ نهنئكم بثقة السيد الرئيس جمال عبد الناصر ونشكره على اختياره غيوراً على حمى الإسلام ومناهجه الرشيدة وقيمه الخالدة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صدى تعيين الشيخ شلتوت

ـ نرفع تهانى أبناء ليبيا .

ـ صادق التبريك بالثقة التى نلتموها عن جدارة .

ـ أبعث إليكم مهنئا متمنيا لكم التوفيق فى تأدية رسالتكم المقدسة بمشيخة الأزهر الشريف فتزيدونه شرفا وازدهارا .

ـ الله يوفقكم لما فيه خير الدين والدنيا للمسلمين .

فلسطين

ـ نضرع إلى الله أن يحقق على يديكم الخير للإسلام والمسلمين .

* * *

أثيوبيا ـ الصومال

ـ سعدنا وسعد معنا ملايين المسلمين فى مختلف أنحاء الأرض .

ـ الأزهر سيعود له مجده السالف على يديك .

ـ إن الإسلام سيصل إلى الدنيا كلها .

ـ إن الفكرة الإسلامية ستنجلى وتصبح بعيدة عن الخرافات .

* * *

أندونيسيا

ـ نتمنى لكم وللأزهر أن تكون يدكم هى الحفيظة عليه وعلى الدين لرقيه ورفعته .

ـ أسارع إلى إسداء أصدق التهانى وأخلصها على هذه الثقة التى حلت محلها والحق إنى أهنئ المنصب بكم ولا أشك فى أنكم دافعو الأزهر الشريف دفعاً إلى الخير ومساعدوه بكل قوتكم حتى يكون أهلا لأداء رسالة السماء إلى الأرض وتتحقق الآمال الكبار المعلقة عليه والمرجوة منه ، وأدعو الله دعاءا حارا أن ييسر لفضيلتكم السبل ويمدكم بعونه وتأييده ويضع بين يديكم الوسائل الكفيلة بالنهوض بالأزهر تلك الجامعة الإسلامية العتيدة التى تتجه إليها أنظارنا وآمالنا جميعاً .

* * *

صدى تعيين الشيخ شلتوت

الهـــند

ـ نرجو الله أن يحفظكم للإسلام والمسلمين، ويحي بكم الأزهر .

ـ فضيلة شيخ الجامع الأزهر :

تتبلوا التهانى وأطيب التمنيات من جماعة « دار العلوم » بمناسبة تعيينكم شيخاً للجامع الأزهر .

دار العلوم الجديدة بديوبند فى الهند

* * *

من أوربا وأمريكا

لاهاى : محكمة العدل الدولية :

ـ أخلص التهنئة باختيار صادف أهله ، وإن تأخر موعده ، وإنى أدعو الله أن يطرد لكم التوفيق وأن يحفظ الدين والوطن بصائب إرشادكم وصادق هدايتكم .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جنيف :

ـ عهد مشيختكم الكريمة عهد ازدهار وسؤدد ومجد أثيل للدين الحنيف ، رسالتكم السامية نحن فى حاجة إليها .

المانيا ـ الوفد الدائم لجامعة الدول العربية :

ـ أتقدم بخالص التهانى وأحسن التمنيات ، وكم كنت أود أن يكون هذا منذ عشر سنوات.

لندن :

ـ يسعدنى ويملأ جوانحى غبطة هذا الاختيار الذى كان يجب أن يتم منذ وقت بعيد ، فأرجو أن تتقبلوا التهنئة من ابنكم البار بكم وبأبوتكم .

واشنطن :

ـ بمناسبة تعيينكم شيخاً للجامع الأزهر يسرنى أن أعبر لكم عن خالص التهانى أمد الله فى عمركم وقادكم إلى خطوات النجاح والرفاهية فى منصبكم الرفيع ؟

زيـــارة

السيد رئيس وزراء أندونيسيا للأزهر

فى الساعة التاسعة والثلث من صباح يوم الاثنين ١٤ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ هـ (الموافق ٢٧ من أكتوبر سنة ١٩٥٨ م) ، وفد ركب السيد / جواندا رئيس وزراء أندونيسيا على إدارة الأزهر فاستقبلته اللجنة المؤلفة لاستقباله باسم السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، وكان على رأسها السيدان ، صاحب الفضيلة السكرتير العام للأزهر الشيخ صالح شرف ، والمراقب العام للبحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر الدكتور محمد البهى ، وكان مندوبو الصحافة ووكالات الأنباء ، ودور السينما فى انتظار مقدمه ، وقد توجهوا جميعاً إلى مكتب فضيلة الأستاذ الأكبر حيث رحب بهم الدكتور محمد البهى باسم فضيلته ، وتلا رسالة بعث بها الأستاذ الأكبر للسيد رئيس الوزراء الأندونيسى يرحب فيها بسيادته وبمرافقيه فى رحاب الأزهر ، وعلى أرض جزء من وطننا الإسلامى الكبير ، ويهديه نسخة فاخرة من : « القرآن الكريم » باعتباره العروة الوثقى التى تلتقى عندها قلوب المسلمين ، والرابطة التى لا تنفصم بين أبناء الأمة الإسلامية ، ودستور الله الذى اهتدت الإنسانية فى الماضى بهديه ، فخلق منها أمة الإسلام ، التى أرست قواعد العدل والأمن والسلام .

كما أهدى لسيادته كتاب « منهج القرآن فى بناء المجتمع » ، وهو أحدث مؤلفات فضيلته ، ويبحث فى نواحى هذا الدستور الإلهى : « القرآن » .

وعقب الدكتور البهى بذكر الروابط التى تربط شعبى الجمهورية العربية المتحدة ، وأندونيسيا ، وأن الأزهر هو مركز الإشعاع الروحى الذى يعم ضياؤه أرجاء المعمورة ، كما قال إنه من حسن الطالع ، أن تكون سيادتكم أول زائر رسمى للأزهر بعد تعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخاً للجامع الأزهر ، فكان هذا استهلالا حسناً ، فى بدء عهد جديد مبارك فى تاريخ الأزهر برياسة شيخه الجديد الشيخ محمود شلتوت .

زيارة رئيس وزراء أندونيسيا

ثم رد السيد رئيس وزراء أندونيسيا شاكراً ، ومنوها بروابط الود الأخوى بين أبناء الأمة الإسلامية ، وأن الأزهر هو المعقل الذى يجمع بين القلوب ، ويحمل مشعل الهداية ، والنور ويدعو إلى السلام والمحبة .

ثم زار سيادته بعد ذلك المكتبة الأزهرية ، وشاهد ما فيها من نفائس الكتب والمخطوطات كما زار الأزهر واستمع إلى بعض الدروس فى الفقه والتفسير والنحو والبلاغة وقد نوه الدكتور البهى بأن الأزهر يحرص على بعض تقاليده القديمة فى التعليم بجانب النظم الحديثة التى يسير عليها أبناؤه فى كلياتهم ومعاهدهم حالياً ، وشأنه فى ذلك شأن الجامعات الأوربية العريقة ، ثم انصرف سيادته ورفاقه شاكرين هذه الحفاوة البالغة التى استقبلوا بها فى رحاب الأزهر العتيق ؟

خطاب الأستاذ الأكبر

السيد الدكتور جواندا كارتا ديجايا

رئيس وزراء أندونيسيا

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فيسرنى أن أرحب بكم وبمرافقيكم ، فى رحاب الأزهر الشريف وعلى أرض جزء من وطننا الإسلامى الكبير .

ويسعدنى ، أن أهديكم هدية الله لعباده : « القرآن الكريم » وهو العروة الوثقى التى تلتقى عندها قلوب المسلمين ، والرابطة التى لا تنفصم بين أبناء أمتنا العزيزة ، وإن تناءت بها الديار ، وباعد بينها الاستعمار . كما أنه دستور الله الذى اهتدت الإنسانية فى الماضى بهديه ، فخلق منها أمة الإسلام ، التى أرست قواعد العدل والأمن والسلام .

ويشرفنى أن أهديكم مؤلفا لى فى بحث ناحية من نواحى هذا الدستور الإلهى : كتاب « منهج القرآن فى بناء المجتمع » .

وأرجو لكم ، وللشعب الأندونيسى العظيم العزة والمجد ، ولأمتنا الإسلامية بعثا جديداً تؤدى به للإنسانية رسالتها فى الحاضر كما أدتها فى الماضى .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حول تعليم اللغات الأجنبية فى الأزهر

قـرار

بتنفيذ دراسة اللغات الأجنبية بالأزهر

بعد الإطلاع على مذكرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر المؤرخة ١٤ من شعبان سنة ١٣٧٧ هـ الموافق ٥ من مارس سنة ١٩٥٨ م التى قدمها إلى اللجنة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية فى إحدى جلساتها .

قـرر ما يأتى :

أولا : تدرس اللغات الأجنبية بالمعاهد الدينية .

ثانياً : تدرس فى هذا العام اللغة الإنجليزية بالسنة الأولى الثانوية بجميع المعاهد .

ثالثاً : يجوز أن تدرس فى معهد القاهرة اللغة الفرنسية والألمانية والروسية وأن تدرس فى معهد الإسكندرية اللغة الفرنسية .

رابعاً : لا يسمح للطالب أن يدرس بالمعهد إلا لغة واحدة .

خامساً : تكون خطة الدراسة أربع حصص أسبوعياً لكل لغة .

سادساً : يكون منهج الدراسة فى السنة الأولى الثانوية هذا العام هو منهاج السنة الأولى الإعدادية بمدارس وزارة التربية والتعليم بالنسبة للغة الإنجليزيه ، ومنهاج السنة الأولى الثانوية بوزارة التربية والتعليم بالنسبة للغة الفرنسية ، ويكون منهاج اللغات الأخرى من إعداد الأساتذة الذين يندبون لتدريسها .

سابعاً : تبدأ دراسة اللغات المذكورة يوم السبت ١٢ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ هـ الموافق ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٥٨م .

٦ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ هـ
١٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٨ م

شيخ الجامع الأزهر
(توقيع)

كتاب من فضيلة الأستاذ الأكبر
شيخ الجامع الأزهر

إلى أصحاب الفضيلة الأساتذة شيوخ المعاهد الدينية
بتنفيذ القرار الصادر بتعليم اللغات الأجنبية

سلام الله عليكم ورحمته - وبعد

فإن رسالة الأزهر هي الدعوة للإسلام ونشر الثقافة الإسلامية بين مختلف شعوب العالم. وهذا ولا شك يتطلب معرفة العلماء اللغات الأجنبية حتى يسهل عليهم تأديه الرسالة بين أقوام لا يتفاهمون إلا بهذه اللغات.

لذلك أصدرنا القرار المرافق رجاء تنفيذه مع مراعاة ما يأتي :

أولا : تسند دراسة مادة اللغة الإنجليزية إلى السادة أساتذة المواد الاجتماعية بالمعهد نظير مكافأة عن الحصص التي تزيد عن النصاب المقرر للمدرس.

ثانيا : تسند دراسة مادة اللغة الفرنسية إلى أساتذة هذه اللغة بوزارة التربية والتعليم بطريق الندب نظير المكافأة المقررة رسميا.

ثالثا : تسند دراسة باقي اللغات الأخرى إلى الأساتذة المتخصصين فيها وبمكافآت أيضا.

رابعا : يبدأ تنفيذ دراسة اللغات الأجنبية ابتداء من يوم السبت ١٢ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ هـ (الموافق ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٥٨ م).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

شكر

السيد وزير التربية والتعليم المركزى

لفضيلة الشيخ محمود شلتوت على إدخاله

اللغات الأجنبية بالأزهر

أرسل السيد / الأستاذ محمد كامل النحاس وكيل وزارة التربية والتعليم المساعد كتابا بتاريخ ٢١ / ١٠ / ١٩٥٨ م إلى السيد / فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر (شيخ الجامع الأزهر حاليا) جاء فيه ما يلى :

« قد أخبرنى السيد الوزير أنه يشعر معكم بأن هذه البداية الطيبة فى تخريج رجال الأزهر مزودين بعدد من اللغات الأجنبية سيساعد كثيرا على أن يؤدى الأزهر الشريف رسالته العظيمة فى نشر الثقافة الإسلامية والعربية فى الدول غير العربية سواء كانت إسلامية أم غير إسلامية ، عن طريق علماء ووعاظ يستطيعون أن يتصلوا بشعوب البلاد المختلفة فى العالم إذا ما أوفدوا إليها بواسطة إحدى اللغات الأجنبية التى يتقنونها بعد تخرجهم فى الأزهر ، كما يستطيع هؤلاء الخريجون أن يطلعوا على ما يكتب عن الإسلام باللغات الأجنبية وبذلك يمكنهم أن تفنيد الدعايات المغرضة التى تقوم بها بعض الدول الاستعمارية ، وتحصين الإسلام فى شعوب العالم : الإسلامية منها ، وغير الإسلامية ضد تلك الدعايات السيئة » .

« وقد أنابنى السيد الوزير فى أن أوجه لكم جزيل الشكر على هذا القرار الحكيم وأسأل الله تعالى أن يوفقكم لنصرة الإسلام ، واستعادة مجده القديم » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأزهر وتدريس اللغات

لعل أجرأ حدث فى الأزهر منذ إنشائه ، هو القرار الجرىء الذى أصدره فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، قبل أن يلى هذا المنصب الدينى الخطير بأيام ، بتدريس اللغات الإنجليزية والفرنسية والروسية فى الأزهر الشريف .

فلقد حقق فضيلته أمنية طالما تمناها قبله كثيرون ولم يستطيعوا تحقيقها بل إن المرحوم الشيخ الأحمدى الظواهرى الذى تولى مشيخة الأزهر منذ تسع وعشرين سنة لم يستطع هذا مع أنه دعا إليه فى كتابه « العلم والعلماء » الذى ألفه فى سنة ١٩٠٤ .

فهذا القرار الحكيم الجرىء يدل على فهم دقيق لما يجب أن يكون عليه طلبة الدين من ثقافة غربية إلى جانب ثقافاتهم العربية وعلى أن الأستاذ الأكبر خير راع وحافظ لمستقبل أبنائه ، وعلى أنه بصير بأمور الدين والدنيا معا .

محمد على رفاعى

فى حفل جامع بمعهد المنصورة ألقيت تهنئات لفضيلة الأستاذ الأكبر بمناسبة تعيينه شيخا للجامع الأزهر . ومنها هذه القصيدة العصماء الأستاذ محمد ابراهيم السقا المدرس بالتربية والتعليم .

شبيبة الأزهر المعمور تهنئة ... من مسلم هزه الأمر الذى صدرا

تزودوا من لغات الغرب واغترفوا ... آدابها واقطفوا من روضها زهرا

لكم أوائل فاقوا فى تضلعهم ... أعلامها وقضوا فى حقها الوطرا

هذا رفاعة فى رهط عباقرة ... راد الحضارة فى باريس واعتصرا

وترجم الأمهات الخالدات لنا ... كنزا من العلم مأثورا ومدخرا

وكان رائد أجيال ومدرسة ... أهدت إلى الشرق من أعلامها نفرا

وفى الإمام مثال خالد عطر ... إذا التمستم مثالا خالدا عطرا

أولئكم وسواهم من أوائلكم ... شقوا الطريق فجدوا واقتفوا الأثرا

رسالة الدعوة الغراء موكلة ... إليكمو فاحملوها واقدروا الخطرا

رودوا مجاهل للإسلام واغتربوا ... مبشرين وخلوا العجز والخورا

بها اللغات سلاح تفتحون به ... مغالق الفهم فى غزو إذا عسرا

فصلوها بجد واكتسوا حللا ... من المحامد واجنوا العز والظفرا

وابنوا لمستقبل بالمجد مزدهر ... يحيى بكم أملا فى الدين مزدهرا

شبيبة الأزهر المعمور توجكم ... شلتوت شيخاً مهيبا طيب الأثرا

جاءته مشيخة الإسلام ملزمة ... جهد الجبابر والإرهاق والسهرا

فالله نسأل تسديد الخطى وبه ... نستفتح العهد طلقا مشرقا نضرا